الفصل الرابع

التحليل التداولي للخطاب الإعلامي، مقالات رقية سليمان الهويريني أنموذجا

توطئة

أسفر اتّصال العلوم اللغوية والأدبية الحديثة مثل اللسانيات والسيميائيات والأسلوبيات والتداوليات ونظرية الأدب بالنظريات العلمية المختلفة في مجالات علم الاجتماع وعلم النفس العام وعلم النفس الإدراكي وعلم التربية والأنثروبولوجيا والتاريخ والفلسفة، والقانون، وتكنولوجيا الإعلام السمعي البصري وعلوم الحاسب والمنطق الرياضي والذكاء الاصطناعي عن ظهور علم جديد الهيئة والصورة والهدف عرف بـ: علم النص (Science de text) أو (Textologies) الذي عني منذ نشأته الأولى في الربع الأخير من القرن العشرين بدراسة النصوص التي ينتجها المتكلمون رغبة منهم في الإبلاغ والتواصل الثقافي والعلمي. بل واستكشاف العوالم الممكنة المحيطة بالوجود الإنساني، لقد غدا هذا التوجه البحثي الجديد همزة الوصل بين راهن الإنسان ومستقبله، وأداة حفر رئيسة لفهم تشكل التغير التاريخي الذي مسّ جوانب الحياة العامة للناس من خلال تلك النصوص الموروثة.

إن الهدف الرئيس الذي يفصح عنه علم النص في أدبياته دراسة استراتجيات اللغة في تشكلها وبنائها الوظيفي قصد تحقيق مآرب المتكلمين في التأثير والإقناع، والذين جبلوا على التفاعل بواسطة الحجاج[1]، في ضوء سياقات اتصالية معينة يحدث فيها الاتصال بين طرفين ظاهرين أو مضمرين أو عدة أطراف تحمل مرجعيات ثقافية مختلفة توجه النصوص شكلا ومضمونا، والحقيقة أن التحليل النصي بالرغم من توسله الوصف العلمي الصارم الذي هو نتاج تمكّن المقاربة المثولية التي أكدتها اللسانيات في مواجهة راهن اللغة ونظامها الثابت لا يقف عند حدود التصنيف والإحصاء بل يحاول استكشاف البنى العميقة ودلالاتها الخفية منتهجا الشرح والتفسير والتعليل والمقارنة مستفيدا من نماذج الدراسة العلمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية.

كما أنه لا يحصر موضوعه في النصوص الأدبية فقط بل كل أنواع النصوص من سردية وحجاجية[2] ووصفية وإشهارية

---

(١) Arnold Gunther, A set of concepts for the stady of dialogic argumentation, p178 نقلا عن: النقاري، حمو، **منطق الكلام، من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي**، الدار العربية للعلوم ناشرون بالاشتراك مع منشورات الاختلاف ودار الأمان، ط١، لبنان - الجزائر - الرباط، سنة ٢٠١٠، ص ٤٦٥.

(٢) يقوم الحجاج عن خط قولي ظاهر تغمره سياسة إقناعية، وأهداف معرفية ونفسية واجتماعية يسعى الترابط الحجاجي إلى إنفاذها في الواقع للمحاجَجين، والإستراتيجية الحجاجية بهذا التصور طريقة وأداة و غاية يستجمع بها المحاجِج عناصر التأثير المحددة لتوجيه الموقف والفعل والرؤية لدى المحاجَجين في وضعيات تواصلية معينة تسنح بشرح الفكرة وتدعيمها في أنظار المتلقين، فالإستراتيجية خطة حاضرة غائبة عن الأنظار في الآن نفسه يسترشد إليها بالعلامة اللسانية والسياق الحالي المنتج للفعل التلفظي، وعن اتصال الإستراتيجية بالحرب ومفهوم اللعبة والحرب اللغوية ينظر تفصيلا عز العرب لحكيم لبناني، **حدود التواصل، الإجماع**

وقانونية[٣]، كتابية مثل الرسائل والقصائد والروايات والمقالات المختلفة في الموضوع أو شفوية مثل الحديث والمناقشات والحوارات التلفزية والإذاعية والمناظرات وغيرها، متجاوزا حدود الشكل الواحد إلى أشكال التواصل المختلفة.

ولعل انفتاحه على الأنساق المختلفة، ومحاولته الإحاطة بالاختلافات الشكلية والموضوعية الفارقة بينها سبب مركزي في صعوبة الخوض في مسائله، مثل تحديد أدواته وضبط آلياته وأهدافه بصورة مطلقة من ناحية، والزعم باكتمال نظريته واستواء تمثلاتها التطبيقية من ناحية أخرى. وفي الصعيد التطبيقي سيكون من غير المجدي أمام تداخل مكونات النص ذاته الاكتفاء بوصف البنية النحوية الدلالية، إذ لابد من استثمار مفاهيم تداولية ومنطقية أساسية يسهم الوعي بوظيفتها في بناء نماذج تحليلية ذات كفاءة مقبولة لفهم استراتجيات النصوص في حدث الكلام.

إن انفتاح علم النص أو علوم النص على النسق اللساني ونموذج المقاربة اللسانية الشكلية بخاصة ولّد توجها ثانويا يعنى بدراسة ملفوظات النصوص من الناحية اللغوية باعتبارها بنية شكلية كبرى تتقاطع ضمنها وبها بنى دلالية كبرى تترابط داخليا بأدوات وعلاقات نصية، يعرف هذا التوجه بلسانيات النص (Linguistique textuelle)

والتنازع بين هابرماس وليونار منانغريد فرانك، إفريقيا الشرق، ط١، ٢٠٠٣، ص٢٩، وانظر عبد الهادي الشهري، **إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤، ص ٥٢ وما بعدها.

(٣) يذهب **برونكار** إلى أن أنواع الخطاب الرئيسة أربعة هي السردي والحكائي والتفاعلي والحواري انطلاقا من خصائص لسانية نصية داخلية قائمة على مبدأ الهيمنة، وإذ كان الحجاج ظاهرا بشكل أوضح في الخطابين التفاعلي والحواري فهو موجود أيضا بمستوى معين ضمن النصوص السردية والحكائية، ولكن بهيمنة سردية حكائية، أو لنقل أنه حجاج سردي أو حجاج حكائي، انظر حبيب أعراب، **"الحجاج والاستدلال الحجاجي"**، مجلة عالم الفكر، ص ١٣٤.

الذي يبحث في أوجه الترابـط النصـي وأدواته الفاعلة في مستويي البنيتين السطحية الممثلة بالأصوات والصيغ والتراكيب والمعجم والبنية العميقة التي تضمر العلاقات الدلالية والسياقية التداولية.

وسرعان ما أدمجت اللسانيات النصية ضمن محـور أدواتها التحليلية مفاهيم حيوية تتصل بالتداولية، وفي صدارتها نظرية الفعل الكلامي (Act de language)، ولعل أهمية هذا التوجه البحثي تتأتى من سعي التحليل اللساني للنصوص إلى تحليل البنى النصّية، واستكشاف العلاقات النسقية المفضية إلى اتساق النّصوص وانسجامها، واستثمارا لهـذا الإطـار العلمي الحديث ارتأينا خوض غمار تجربة تحليلية لنصوص اجتماعية صحفية، تعكس تجربة الكتابة الصحفية الأنثوية في المملكة العربية السعودية في بعدها اللغوي، من خلال جريدة تتمتع بانتشار محلي كبير هي جريدة الجزيرة اليومية.

وتأتي هذه الدراسة قصد وصف وتفكيك بنية النص الإعلامي المكتوب باللغة العربية بوصفه خطابا يوميا يحمل قيما اجتماعية وثقافية ودينية وتربوية وأدبية، كما تهـدف الدراسة إلى الكشف عـن الإستراتيجية الحجاجية التي تقـوم عليها هندسة القبول في الفعل الإعلامي الصحفي الذي ينجز في بعض محطاته الدعاية لبعض القيم قصد ترسيخها أو إحلالها بديلا للرائج .

١ - نظرية تحليل الخطاب، وتحليل النصوص الإعلامية

ارتبطت نشأة وتطـور بحـوث الإعـلام في العشرينيات مـن القـرن المـاضي بالنموذجين الوضعي والسلوكي، فاستمد التخصص الجديـد الكثير من منطلقاته ومفاهيمه وأطـره النظرية والمنهجية من هذين النموذجين. وفي هذا الإطـار ركزت بحـوث الإعـلام على تأثير وسائل الإعـلام في الجمهور مهملة إلى حـد كبير دراسة

مضمون[٤] وشكل الرسالة الإعلامية التي يفترض أنها تحدث التأثير المطلوب أو المرغوب من وجهة نظر المرسل سواء كان شخصا أو مؤسسة إعلامية[٥]، ثم شرع في التحليل الكمي لمضمون أو محتوى الرسالة الإعلامية، الذي ذاع صيته بفضل مقال **بريلسون** (Berelson) الشهير الذي نشره عام ١٩٥٢ بعنوان: "التحليل الكمي للمحتوى في أبحاث الاتصال". وانطلاقا من بحوث **بريلسون** (Brelson) وآخرون سادت تقاليد التحليل الكمي في الدراسات الإعلامية[٦].

أما التوجه نحو دراسة الخطاب الإعلامي بالارتكاز على المكون اللساني التداولي فقد بدأ بفعل التقدم الذي أحرزته اللسانيات في تقديم نفسها منهجا يتمتع بكفاءة وصفية وتصنيفية عالية في قراءة النصوص، وكان **بيسنس** (Buyssens) أول من طرح مسألة الخطاب في الدراسات اللسانية عام ١٩٤٣، ثم جاءت أعمال **بنفنيست** (E.Benveniste)[٧]، و**هاريس**

---

(٤) لمزيد من التفاصيل حول تحليل المضمون ينظر: سمير محمد حسن، **بحوث الإعلام، الأسس والمبادئ**، عالم الكتب، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٢ وكتابه أيضا، **الإعلام والاتصال الجماهيري والرأي العام**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٢٤٨.

(٥) انظر: محمد شومان، **تحليل الخطاب الإعلامي، أطر نظرية ونماذج تطبيقية**، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٢١ وما بعدها.

(٦) انظر: عواطف عبد الرحمن وآخرون، **تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية**، العربي للنشر والتوزيع، بدون تاريخ، ص ٨، وانظر شومان، محمد، **تحليل الخطاب الإعلامي، أطر نظرية ونماذج تطبيقية**، ص ٢٢ وانظر أيضا محمد شطاح ونعمان بوقرة، **تحليل الخطاب الأدبي والإعلامي بين النظرية والتطبيق**، مكتبة الآداب، ط١، سنة ٢٠٠٦، ص ٣١ وما بعدها.

(٧) اهتم بنفنيست بالضمائر في الخطاب، بخاصة تمييزه بين وظيفتي ضمير المتكلم والمخاطب من ناحية وضمير الغائب من ناحية أخرى، فإذا كان المتكلم والمخاطب محينين للحظة الراهنة في

(Z.Harris)[٨]، و**هاليدي** (M. Halliday)، ورقية **حسن** (Ruqaiya Hasan)، **وفان ديك** (Van. Dick)، و**ايزنبرج** (Isenberg)، وجوليان **غريماس** (J.Grimas)، و**ميشال آدام** (J.M.Adam)، وغيرهم، وقد توزعت -كما مر ذكره- على خلفيات نظرية، وأنواع نصية مختلفة، لا يتسع المجال للتعريف بها جميعا، غير إن ما يلفت نظر الباحثين في هذا السياق هو ما يواجههم من مشكلات تتصل بالاختلاف حول تحليل المادة العلمية التي تتعلق بمجال عمل أصحاب الاختصاصات المختلفة.

فالإجراءات التي يتبعها باحثو الإدارة لتحليل خطاب الإدارة تختلف -مثلا- عن تحليل خطاب الدردشة عبر الأنترنيت، كما تختلف ولا شك عن تحليل علم النفس الخطابي، وكذلك الحال في الخطاب الأدبي والديني، ويبدو الاختلاف بصورة أوضح في تحليل الخطاب الإعلامي، إذا إن الخطاب الإعلامي المقروء يختلف في طريقة تحليله عن الخطاب الإعلامي المرئي الذي يعتمد الصورة بوصفها أيقونا للتأثير والتوجيه

إحالتهما على فعل التلفظ ذاته، فإن الغائب من حيث كونه ضميرا غير شخصي محيل على واقع غير لساني يمثل مرجع الخطاب، انظر تفصيلا عبد الواحد المرابط، **السيمياء العامة وسيمياء الأدب**، من أجل تصور شامل، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٠، ص٥١، وانظر أيضا: Emile Benveniste, Problemes de linguistique generale, p550.

(٨) وضع هاريس آلية حسابية تمكن من إجراء تقطيعات متتالية على متن لغوي ضخم، ليصل إلى المكونات المورفيمية النهائية للمدونة، ثم وضعها في طبقات توزيعية انطلاقا من مبدأ التشابه، وهذا ما يعرف بالتحليل التوزيعي الذي استقاه من طريقة بلومفيلد في تحليل الكلام وتصنيف بنياته الأساسية في سياق تموضاته (التوزيع) بغضّ النظر عن عامل الدلالة، انظر عبد الواحد المرابط، **السيمياء العامة وسيمياء الأدب**، من أجل تصور شامل، ص ٤٨، وانظر أيضا: O.Ducrot et T.Todorov,Dictionnaire encyclopedique,pp49-55.

والتغيير[٩]، وكذلك عن الخطاب الإعلامي المسموع، ولعل سرّ الاختلاف راجع أولا إلى البناء الداخلي للنصوص، وثانيا إلى الأغراض التواصلية التي يطمح المنشئون إلى تحقيقها عبر تلك الأشكال، والخطط القولية. كما إن العلاقة التي تربط الخطاب باللغة وبالواقع الاجتماعي، تشكل مفرقا حاسما أمام الدارس في ضوء عدم قدرته على اكتشاف طبيعة تلك العلاقة ومميزاتها، فالخطاب ينتمي إلى عالم اللغة، وكل علامة فيها تعكس، أو تمثل الواقع الاجتماعي، ومن هنا تثور إشكالية، هل اللغة تصنع الواقع؟، أم أن الواقع الاجتماعي هو الذي يحدد اللغة ؟[١٠]

٢- مبررات الاختيار

إن الوصف اللساني للخطاب الإعلامي ينهض في بعده الغرضي على استجلاء أهم القيم التداولية التي يطفح بها مثل: القيمة الاجتماعية والنفسية والتربوية التعليمية والإيديولوجية. هذا وللبحث خاتمة تعرض فيها أهم نتائجه، هذا وقبل أن ندلف بالتحليل إلى نصوص المدونة المختارة، تحبذ الدراسة تذكير القارئ بأس المشكلة البحثية، وإطارها العام، والأهداف المرجو تحقيقها من عملية البحث، إذ يمكن صياغة مشكلة البحث الأساسة في العبارة التالية: كيف يمكن تحديد معالم الخطاب الإعلامي في مقالات رقية الهويريني؟

---

(٩) انظر: سعيد بن كراد، **السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها**، ط١، دار الحوار، سوريا، سنة ٢٠٠٥، ص ١٦ وما بعدها.

(١٠) يذهب بنفنيست إلى أن اللغة هي التي تخلق العالم، والعلاقات الإنسانية والاجتماعية، فهي تفعل الكثير بالقليل، بل إن وجود الإنسان ووعيه بذاته مرتبط رأسا بوعيه اللغوي، انظر:

.E.Benveniste, Problemes de linguistique generale, ed, Gallimard,Paris, 1966, p 28-30

وما هي أهم الوظائف التخاطبية التي ينهض عليها النص الاجتماعي المباشر في موضوعه وطريقة عرضه؟، وربما تمكنا في ضوء هذه المساءلة من تحديد أهم الأهداف التي يزمع البحث الوصول إليها في النقاط التالية:

١-إبـراز أهم مرتكزات الحجاج الإعلامي في ضوء نظرية البـلاغة الجديدة، وأشهر نظريات الحجاج في الثقافة اللسانية المعاصرة.

٢-إبراز القيم التداولية في منظومة خطاب إعلامي أنثوي مؤطر بسياق ثقافي سعودي حديث.

٣-الكشف عن المنطق الحجاجي المتّبع من طرف الكاتبة.

٥- وصف وتحليل صـور وعلاقات التماسك النصي في ضـوء مقولتي الاتساق والانسجام، وتحـديد المهيمنات الأسلوبية التي تؤشر إلى سمات أسلوبية معينها عنـد الكاتبة.

٦- وصف المعجم اللغوي الخاص بالكاتبة في ضـوء المدونة المخـتارة. ولعلنا لا نفوت هذه الفرصة دون أن نشير إلى بعض الدراسات السابقة والمهمة في هذا الإطار، والتي تمكنا من الاطـلاع عليها، فمنها ما اتصل بعـرض الجوانب النظرية للعملية الحجاجية في التقاليد الغربية، ومنها ما حاول وصف المحاججة في الثقافة الإسلامية القديمة.

ولنا في هذا السياق أن نذكر أعمالا مهمة مثل: طه عبدالرحمن في دراسته: لسان الميزان، ومحمد الواسطي في أساليب الحجاج في البلاغة العربية وعبد الله صولة في دراسته الحجاج في القرآن الكريم ومحمد يونس من خلال كتابه: علم التخاطب الإسلامي، ودراسة محمد خطابي، "اتساق النص، مدخل إلى انسجام الخطاب"، ودراسة عزة الشبل، "علم لغة النص"، ودراسة حسام فرج، "نظرية علم النص"،

وبعض المعاجم اللسانية الحديثة الضابطة للجهاز المفاهيمي في ميدان تحليل الخطاب، مثل: المعجم الموسوعي لعلوم اللغة لـ: دي كرو وتودوروف، ومعجم دي بوا في اللسانيات، ودراسات حديثة باللغة الفرنسية لمانجنو وميشال آدام وغريماس.

إلا أننا لم نعثر على دراسة واحدة اتخذت من هذا الإطار المنهجي، أو من هذه المدونة مجالا لها، وهو ما حفزنا لطلب خوض غمار هذه التجربة العلمية المحفوفة بالمخاطر والمحاذير، متسلحين في ذلك بأخلاق البحث العلمي، ومنهج وصفي تحليلي نحاول من خلاله النفاذ إلى دعائم هذه الإستراتيجية الحجاجية التي افترضنا وجودها في الخطاب الإعلامي المعين.

أما عن خطة البحث فترتكز على مقدمة، ومدخل نظري يؤصل لمنهجية التحليل النصي التداولي في ضوء المقاربة الحجاجية. أما المحور التطبيقي فيقدم القراءة التأويلية لفعل التحاجج الذي يتأسس عليه خطاب الإصلاح عند الكاتبة، ويقوم هذا المحور على وصف النصوص الأساسية مجملة بقراءة كلية تستهدف وصف المستوى الموضوعي والشكلي الذي يرتكز على وصف آليات بناء الحجج، من حيث التسلسل المنطقي، وصور الترتيب النحوي للتراكيب، في ضوء استثمار نظرية السلم الحجاجي في بنائية الحجج، بالإضافة إلى تحليل الجانبين المعجمي والأسلوبي، تمهيدا لتحليل قواعد الحجاج الإعلامي، من خلال إبراز تقنيات المحاججة، ممثلة في الحجج النقلية، والعقلية، والواقعية، والحجاج بالسلطة.

هذا ويندرج تحليلنا النصي للكتابة الصحفية الإعلامية، والمزمع إجراؤه على نصوص مختارة من مدونة رقية سليمان في سياق اختبار جدارة المقولات اللسانية، والتصورات النظرية التي ينبني عليها مفهوم الانسجام النصي في الخطاب اللساني بعامة، والخطاب الإعلامي منه بخاصة.

ذلك إن خطة القول التي تترسمها الكاتبة لتحقق أهدافها التبليغية، والتأثيرية، وفي صدارتها الإقناع بالأطروحة المركزية التي تمثل رؤيتها للكون والعلاقات الاجتماعية لا تدرك بالنسبة إلى المتلقي على وجهها المطلوب.

إلا بتحليل نصي تداولي يتجاوز وصف الأنساق اللسانية التي يتشكل منها النص المعين في مستويات الصيغة والتركيب والمعجم إلى مباشرة العلاقات السياقية الداخلية، وإحالاتها المرجعية على سياق الحال، بما يحمله هذا الأخير من مضمرات اجتماعية، ونفسية وثقافية ترهن دلائلية الخطاب، فتوجهها بقصد إلى منظومة استلزامية من أفعال القول، والتي عادة ما تختزل في فعل كلامي رئيس تختلف درجة قوته الإنجازية باختلاف أشكاله، ومقامات التلفظ به.

وفي هذا السياق اختار البحث منظومة من النصوص الصحفية لكاتبة سعودية، تنشر مقالاتها في يومية الجزيرة الصحفية تحت عمود موسوم بـ: "المنشود" على ما في هذا العنوان الكلي، المصاغ صرفيا على زنة مفعول من إيحاء طلبي يحث المخاطب على تحصيل الفكرة أو السلوك أو الموقف المرغّب فيه، تصريحا أو تلميحا. تلكم هي رقية سليمان الهويريني، وقد وقع الاختيار على هذه الشخصية، وعلى تلك المدونة لبعض القناعات الراسخة لدى الباحث، منها ضرورة الاعتناء بقراءة النصوص الإعلامية اليومية باعتبارها نصوصا أصلية تعبر عن الواقع الاجتماعي في صوره، وتمخضاته المختلفة، بما يعكس موقف المثقف من مجتمعه أولا، وموقفه من المؤسسات الحاكمة له تحت مسمى السلطة، وهي هنا سلطة ثقافية أكثر منها سلطة سياسية.

كما إن تمعين خطاب المرأة في الراهن الإعلامي ضروري على أكثر من صعيد، وبالإمكان المشاركة في الإجابة عن بعض التساؤلات المتصلة بموقف المرأة، وركائز تصورها الاجتماعي بروائزه النفسية، ومقارباته الجمالية. فالقول -مثلا- بامتياز كتابة

المرأة بخصائص لغوية، وجمالية مفارقة لكتابة الرجل يحتاج إلى دليل، لا نجده في زعمنا إلا في بحث اختياراتها المعجمية، والرمزية، والاستعارية، ورؤيتها للعالم، وكيفية بناء خطابها الحجاجي على وجه التحديد، مما يعطي مشروعية لمقولة الأدب النسوي التي تعاني نقاشا حادا بين منظري النقد الحديث في الغرب، وفي عالمنا العربي[١١].

---

(١١) ظهرت دراسات عديدة عنيت بنقد أدب النساء في العالمين الغربي السباق إلى ذلك والعربي المتابع للحركة النقدية وراء البحار، وما تلك العناية إلا محاولة للتعرف على تقاليد الكتابة لدى الأنثى وطقوس الإبداع عندها، ولعل أهم ما كتب بأقلام عربية في هذا الموضوع دراسة **"رشيدة بنمسعود"** الموسومة بـ **"استراتيجية الكتابة النسائية"** المنشورة في مجلة عالم الفكر، المجلد ٢١/ العدد ١ يوليو أغسطس، سبتمبر ١٩٩١. وكذا دراسة **"نبيلة شعبان"** بعنوان **الرواية النسائية العربية** بمجلة مواقف عدد ٧٠ ـ ٧١ شتاء ربيع ١٩٩٣، ومقالة **"منى أبو سنة"، إشكالية الإبداع في الأدب النسائي** بمجلة إبداع القاهرة (العدد١، يناير ١٩٩٣). وكذا دراسة أخرى للكاتبة نفسها بعنوان **"التراث المكبوت في أدب المرأة"** تتحدث عن الأدب النسوي فتحدده بأنه: **"يمثل الأدب الذي تكتبه المرأة في تصوري استنطاقاً لجانب من المسكوت عنه في الثقافة العربية، وهو الموقف الإيجابي للمرأة ومن المرأة"**، وتتطرق الكاتبة إلى التراث الأدبي فتنعته بأنه يغفل في كثير من الأحيان النظرة الإيجابية للمرأة ويقدمها إما بصورة شبحية هامشية، أو في أنماط متكررة، تتراوح بين النموذج الأعلى للملاك والشيطان، تنسب إليها صفات الأم المقدسة، نموذج الطهارة والنقاء الكلي من جانب أو ينسب إليها صفات نمطية أخرى كالابتذال والتهافت على المتع الحسية والاتصاف بالمكر والخداع والغموض من جانب آخر. وبعد الإشارة إلى استثناءات طفيفة كانت فيها صور المرأة إيجابية في التراث الأدبي مثل" حكاية الجارية تودد" في ألف ليلة وليلة، و"الأميرة ذات الهمة" في الملحمة الشعبية، تؤكد **اعتدال عثمان** أن الخطاب المسكوت عنه لا يقل أهمية عن الخطاب المعبر عنه يرجع ذلك إلى أن المسكوت عنه يمثل فجوات مظلمة في التاريخ الأدبي، يتم إغفالها عمداً من أجل التوصل إلى مجموعة من القيم والمقاييس، تثبت بوصفها حقيقة نهائية، وتوظف لتدعيم

إن اختيار المدونة آنفة الذكر ينبع من الأهمية الاجتماعية والثقافية التي تكتسيها المقالات اليومية على منابر الصحافة المحلية بخاصة تلك التي تتوجه إلى التغيير الاجتماعي، بخاصة وأن فن جنس المقال الاجتماعي من أبرز الوسائل التي يعتمدها الخطاب السياسي الرسمي في إصلاح الأوضاع الاجتماعية بأسلوب مباشر إذ يرجح كونه الأكثر تلقيا بين جمهور القراء الذين يختلفون يوميا وفي كل صباح في دورهم وأماكن عملهم لتقليب صفحات جريدة الجزيرة وغيرها من الجرائد.

ثم إن التتبع الأولي المصاحب لفعل القراءة يفصح عن تفاعل بين الأنساق اللغوية المختلفة مع المقام الاتصالي الثقافي الذي يؤطر المدونة المعينة لتحليل الأبعاد التداولية للحجاج الاجتماعي، وإبراز قيمته التأثيرية على الواقعين الفردي والجمعي للمواطن السعودي بخاصة، ولعل هذا المسعى البحثي سيسمح بتحقيق جملة من الأهداف البحثية والاجتماعية منها :

١- تسليط الضوء على كيفية استثمار آليات التحليل اللساني التداولي في مقاربة خطاب لغوي يومي تنبع أصالته من ارتباطه بالواقع الاجتماعي.

وضع قائم، ونظام رمزي بعينه، بصرف النظر عن التناقض داخل هذا الوضع أو ذلك النظام ذاته، ومن بين الدراسات التي تناولت موضوع المرأة دراسة **إيمان القاضي** في **كتابها "الرواية النسوية في بلاد الشام السمات النفسية والفنية ١٩٥٠ - ١٩٨٥"**، من خلال تركيزها على الروايات الفلسطينية أو ذات الموضوع الفلسطيني التي أظهرت مفهوماً ناضجاً لحرية المرأة من خلال نموذج الكاتبة **سحر خليفة**. وفي السياق ذاته تتنزل أعمال **فيحاء قاسم عبد الهادي**، فهي ترى إمكان فهم وعي المرأة وتطورها من خلال ما كتبته المرأة الفلسطينية. انظر تفصيلا مفقودة، صالح، **النسوي في الأدب الجزائري المعاصر**، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، عدد٤٠٧ آذار، ٢٠٠٥، ص ٢٠.

٢- الكشف عن مكونات العملية الحجاجية، ومرتكزات الفعل الإقناعي المعتمدة من طرف الكاتبة.

٣- توجيه الكتاب المبتدئين إلى أهم الأصول التي تقام عليها المحاججة الصحفية، وكيفية استخدامهم للمعطيات اللسانية والثقافية لبناء إستراتيجية إقناعية لدعوى أو أطروحة فكرية ما وكيفية توظيف الوصف لتأكيد الفكرة وتوضيح الرؤية والموقف الخاص بالكاتب. وفي ضوء هذه الأهداف العامة سيكون من الطبيعي أن يأخذ هذا المشروع عنوانا يمثل إشكاليته المركزية وهو: استراتيجيات الإقناع في الخطاب الإعلامي، دراسة نصية تداولية في مقالات رقية سليمان.

٣- التحليل النصي التداولي للمدونة

إن وصفا أوليا لنماذج من المقالة الصحفية للكاتبة في أعداد من صحيفة الجزيرة اليومية يكشف عن توظيفها لاعتبارات تداولية حجاجية تتقدمها العناية بالسياقات العامة والخاصة في تحليل أية قضية اجتماعية أو حالة مدنية طارئة، وترتيب للحجج أقل ما يقال عنها أنها خضعت لمنطق وسلمية تجعل من المتلقي أكثر ارتباطا بالفكرة المطروحة.

ولعل هذه الميزة تكون سببا في تميز البنية النصية من ناحية تعكس عمق التفكير ووجاهة الاستدلالات، وتنوعها ناهيك عن سمة الترابط النصي التي ميزت هذا المنجز اللغوي الذي ارتأيناه مدونة صالحة للدراسة التداولية. إن تحليل الخطاب الإعلامي عند رقية سليمان. وإن كان ينطلق من منهجية استصفائية لبعض النصوص، بما لا يشكل استقراء شاملا للاختيارات اللغوية والأسلوبية بإمكانه أن يمهد الطريق

نحو خوض غمار تجارب قرائية أخرى، تستتبع تأويل القول من وجهة نظر تداولية، تتمسك بأهم مقولات نظرية الحجاج، ومفاتيحها الإجرائية بخاصة نظرية السلالم الحجاجية التي صاغها دي كرو، ونظرية المساءلة التي بسطها ميشال ماير في عديد كتاباته، بخاصة وأن البحث في استراتيجيات القول الصحفي باعتباره قولا إبداعيا عزيز الوجود في الدرس اللساني التطبيقي العربي، فأغلب مقاربات محللي الخطاب منصرفة إلى استقطار المعنى الجمالي من النصوص الأدبية الشعرية والسردية، منصرفة عن سائر أنواع الخطاب الأخرى لأسباب تبدو غير موضوعية. ويقوم اختيار مدونة البحث على حصر أهم المقالات التي نشرتها صحيفة الجزيرة للكاتبة ابتداء من ٣/ ١/ ٢٠١٠ إلى ٣٠ / ١٢/ ٢٠١٠، واختيار نماذج منها اختيارا عشوائيا لم يراع فيه إلا منطق التنوع الموضوعي، وفق ما يبينه الجدول الإحصائي التالي:

١	الدور التربوي للجامعة الإسلامية ..ونجاح مؤكد	٢٠١٠-١٢-٢٨
٢	ورحلت أمي مزنة	٢٠١٠-١٢-٢٦
٣	استطلاعات الرأي بين المصداقية والتوجيه	٢٠١٠-١٢-٢٣
٤	لحوم سليمة ولحوم مسمومة	٢٠١٠-١٢-٢١
٥	الإرشاد الطلابي ؟، والهدف الضائع	٢٠١٠-١٢-١٩
٦	هل أنت فاشل، لماذا؟	٢٠١٠-١٢-١٦
٧	متعودين يا سيدتي الإماراتية متعودين!	٢٠١٠-١٢-١٤
٨	على المواطنين تسوية ديون الدولة، وماذا عن حقوق المواطنين على الدولة؟	٢٠١٠-١٢-١٢
٩	اليأس، راحة أم هروب ؟!	٢٠١٠-١٢-٩
١٠	العزاء الشاق	٢٠١٠-١٢-٧

١١	أولادنا المشردون في الخارج أما من حياء؟!	٢٠١٠-١٢-٥
١٢	تقدير الذات ثابت أم متغير	٢٠١٠-١٢-٢
١٣	يوم القراء الثاني والعشرون	٢٠١٠-١١-٣٠
١٤	أقسام رياض الأطفال..خسائر وإحباط طالبات	٢٠١٠-١١-٢٨
١٥	جمعية الابتسامة ومحاربة العبوس	٢٠١٠-١١-٢٥
١٦	توبيخ قاض، وماذا في ذلك؟!	٢٠١٠-١١-٢٣
١٧	الخليج العربي أم الخليج الإسلامي	٢٠١٠-١١-٢١
١٨	استراحة العيد، مع أدب الدنيا والدين	٢٠١٠-١١-١٨
١٩	طهور طهور يا ملكنا	٢٠١٠-١١-١٦
٢٠	نخيل البكيرية الشامخة والسوسة الخبيثة	٢٠١٠-١١-١٤
٢١	جزيرة العرب مروج وأنهار، أم تصحر مياه وحروب؟	٢٠١٠-١١-١١
٢٢	هل عمل الكاشيرات ..قطع الإشارة .. والتعامل بالربا ..كلها حرام؟	٢٠١٠-١١-٩
٢٣	يا وظيفة حكومية ..يا لا!	٢٠١٠-١١-٧
٢٤	متى تتناول فاكهتك؟	٢٠١٠-١١-٤
٢٥	نظرة بين التفاؤل والتشاؤم	٢٠١٠-١١-٢
٢٦	يوم القراء الحادي والعشرون	٢٠١٠-١٠-٣١
٢٧	وصفات طبية بنكهة تجارية	٢٠١٠-١٠-٢٨
٢٨	إني أمزح، أيها التجار	٢٠١٠-١٠-٢٦
٢٩	لا تخسروا رمضان	٢٠١٠-٨-٢٩
٣٠	غازي، فيك أتقبل العزاء	٢٠١٠-٨-٢٢
٣١	اكسبوا مع رمضان	٢٠١٠-٨-١٥
٣٢	أيها التجار ..ارفعوها أكثر فأكثر	٢٠١٠-٨-٨
٣٣	يوم القراء التاسع عشر	٢٠١٠-٨-١
٣٤	نصائح ومعلومات طبية	٢٠١٠-٧-٢٩

٣٥	العمال ..وبرنامج شامس	٢٠١٠-٧-٢٧
٣٦	خلوها تغبر	٢٠١٠-٧-٢٥
٣٧	حرارة الجو، عمة أم نقمة ؟	٢٠١٠-٧-٢٢
٣٨	هل تعرفني؟	٢٠١٠-٧-٢٠
٣٩	تطوير المناهج، توسيع مدارك، أم إضافة أعباء	٢٠١٠-١٠-٢٤
٤٠	كيف تنظف لسانك؟	٢٠١٠-١٠-٢١
٤١	هل حبيبتك شمس أو قمر؟	٢٠١٠-١٠-١٩
٤٢	وحشية ممرضة في مدرسة ابتدائية	٢٠١٠-١٠-١٧
٤٣	رياضة المشي: صقل للجسد ..وغذاء للعقل!	٢٠١٠-١٠-١٤
٤٤	تركيبات بشرية رائدة	٢٠١٠-١٠-١٢
٤٥	البنوك بين تحويلات الأجانب ..وقروض المواطنين	٢٠١٠-١٠-١٠
٤٦	ادفنوا أجسادكم بالرمل قبل الممات	٢٠١٠-١٠-٧
٤٧	راشد المبارك – العالم المبارك!	٢٠١٠-١٠-٥
٤٨	المرأة السعودية بين دسيسة الوصاية ومؤامرة التغريب	٢٠١٠-١٠-٣
٤٩	يوم القراء العشرون	٢٠١٠-٩-٣٠
٥٠	حفل معايدة صحفيات الجزيرة الأول	٢٠١٠-٩-٢٨
٥١	امرأة في الديوان الملكي	٢٠١٠-٩-٢٦
٥٢	اسبحوا بالقلنسوة	٢٠١٠-٩-٢٣
٥٣	الخطابة نوير، وخطة إصلاح البيوت	٢٠١٠-٧-١٣
٥٤	الأحوال المدنية بالرياض، شكرا	٢٠١٠-٧-١١
٥٥	مجتمع النمل، تعاون أم حسد!	٢٠١٠-٧-٨
٥٦	مسؤول لا يصلي ...كيف؟	٢٠١٠-٧-٦
٥٧	نتائج المسابقات الوظيفية في جامعة الأميرة نورة ... والإحباط	٢٠١٠-٧-٤
٥٨	الفحص الطبي الشامل، ضرورة أم ترف؟!	٢٠١٠-٧-١

٥٩	يوم القراء الثامن عشر	٢٠١٠-٦-٢٩
٦٠	ساعة الصيف، وفتوى إجازة الخميس	٢٠١٠-٦-٢٧
٦١	رقصة القلطة	٢٠١٠-٦-٢٤
٦٢	الفتاة ...لماذا تسترجل ؟	٢٠١٠-٦-٢٢
٦٣	تمزيق الوحدة الوطنية ...من المسؤول ؟	٢٠١٠-٦-٢٠
٦٤	الاستخدام الأمثل للدواء	٢٠١٠-٦-١٧
٦٥	وزارة التربية ...الوزارة الجاحدة	٢٠١٠-٦-١٥
٦٦	مشايخ هوشة	٢٠١٠-٦-١٣
٦٧	الشمس المهاجرة	٢٠١٠-٦-١٠
٦٨	سيدة القاعدة..أم سجينة الشقاء؟	٢٠١٠-٦-١٠
٦٩	البكيرية المدينة الوادعة...وجريمة قتل!	٢٠١٠-٦-٦
٧٠	الحبل السري، الصندوق الأسود	٢٠١٠-٦-٣
٧١	الحياة محطات	٢٠١٠-٦-١
٧٢	يوم القراء السابع عشر	٢٠١٠-٥-٣٠
٧٣	الفيتامين المشرق	٢٠١٠-٥-٢٧
٧٤	التفاؤل المنقوص	٢٠١٠-٥-٢٥
٧٥	نظام ساهر القاهر	٢٠١٠-٥-٢٣
٧٦	السعادة مفاهيم وآراء	٢٠١٠-٥-٢٠
٧٧	ما أوسعك أيها التفاؤل!	٢٠١٠-٥-١٨
٧٨	افعلها ياوزير التربية	٢٠١٠-٥-١٦
٧٩	كم عقلا لديك؟	٢٠١٠-٥-١٣
٨٠	تناقص أعداد الممرضات السعوديات، لماذا؟٢-٢	٢٠١٠-٥-١١
٨١	تناقص أعداد الممرضات السعوديات، لماذا؟١-٢	٢٠١٠-٥-٩
٨٢	فرط الحركة، وتشتت الانتباه، ذلك السلوك	٢٠١٠-٥-٦

٨٣	الفشل الناجح	٤-٥-٢٠١٠
٨٤	الفشل الناجح	٣-٥-٢٠١٠
٨٥	مواطن، وسياحة داخلية فاشلة	٢-٥-٢٠١٠
٨٦	يوم القراء السادس عشر	٢٩-٤-٢٠١٠
٨٧	نجران والأخدود ...وما أدراك ما الأخدود	٢٧-٤-٢٠١٠
٨٨	إمبراطورية الغش، وأبناؤنا المبتعثون	٢٥-٤-٢٠١٠
٨٩	حرارة جسدك، طاقة بديلة	٢٢-٤-٢٠١٠
٩٠	نجران، وحوار وطني رائد	١٨-٤-٢٠١٠
٩١	الأمطار والمهايط	١٥-٤-٢٠١٠
٩٢	رقية سليمان الهويريني	١٣-٤-٢٠١٠
٩٣	الساطعون في حياتك والخذلان	
٩٤	محاكم الجمال والخراف	٧-٣-٢٠١٠
٩٥	من منكم بمهنة أهله؟	٤-٣-٢٠١٠
٩٦	يوم القراء الرابع عشر	٢٨-٢-٢٠١٠
٩٧	الإشاعة ظاهرة أم ثقافة	٢٥-٢-٢٠١٠
٩٨	الدرهم الخامس وبركة الراتب	٢٣-٢-٢٠١٠
٩٩	الانتقام الشخصي وتقرير الأداء الوظيفي	٢١-٢-٢٠١٠
١٠٠	نكهة شخصيتك	١٨-٢-٢٠١٠
١٠١	قيادة المرأة للسيارة وارتياب	١٦-٢-٢٠١٠
١٠٢	الأحساء ..نفط ..ونخيل ..وبحر وعيون	١٤-٢-٢٠١٠
١٠٣	النوم وقوة الذاكرة	١١-٢-٢٠١٠
١٠٤	هل تعرفون لي كوان يو؟	٩-٢-٢٠١٠
١٠٥	طلب المساواة وشجاعة المعلمات	٧-٢-٢٠١٠
١٠٦	النصائح المضللة	٤-٢-٢٠١٠

١٠٧	صندوق الدم الوطني	٢-٢-٢٠١٠
١٠٨	تلاشت الوسطية في الحوار الوطني	٣-١-٢٠١٠
١٠٩	المرشدات الطلابيات والحرمان من الدرجات الوظيفية المستحقة	
١١٠	يوم القراء الثالث عشر	٣١-١-٢٠١٠
١١١	هوس التحسين الجيني	٢٨-٠١-٢٠١٠
١١٢	التغافل ذلك الخلق الرفيع	٢٦-١-٢٠١٠
١١٣	عمورية ...وانفراج أزمة المساهمات العقارية	٢٥-١-٢٠١٠
١١٤	قيادة المرأة للسيارة والتوجسات	٢٤-١-٢٠١٠
١١٥	معجزة موسى ..وانشقاق البحر في كوريا	٢١-١-٢٠١٠
١١٦	زواج القاصرات والوأد الحضاري !!	١٩-١-٢٠١٠
١١٧	موؤودة القصيم .. والعزاء الحزين	١٧-١-٢٠٢٠
١١٨	الإتيكيت قواعد أم فنون؟!	١٤-١-٢٠١٠
١١٩	مقومات الخطاب الثقافي السعودي	١٢-١-٢٠١٠
١٢٠	الخطاب الثقافي السعودي، إلى أين ؟	١٠-١-٢٠١٠
١٢١	نحو بيئة آمنة للأطفال	٠٧-٠١-٢٠١٠
١٢٢	هروب الخدم والفتاوي	٥-١-٢٠١٠

إن المستقرئ لهذا الجدول بإمكانه أن يحدد مبدئيا هيمنة الموضوعات الاجتماعية على سائر الموضوعات الأخرى بخاصة تلك التي تصف الواقع الاجتماعي الراهن في تغيراته، ومشكلاته الحادثة باستثناء نصين سلكا مسلكا سياسيا عاما، أما أولهما فنص "الخليج العربي أم الخليج الإسلامي"، وأما ثانيهما فنص: "جزيرة العرب مروج وأنهار، أم تصحر مياه وحروب؟"، بنسبة لا تتعدى ٦٣ ,١٪ من مجموع النصوص التي تتشكل منها المدونة الصحفية للكاتبة.

ولعل هيمنة الموضوعات الاجتماعية بإمكانها أن توجه ضمنيا إلى ربط مصداقية الكاتبة، وانتشارها الجماهيري إعلاميا بمدى التحامها، وتفاعلها النفسي والفكري مع مجتمعها، فتنطق باسمه، وتعبر عن رؤيته، بقبول أو رفض ما يطرأ، فالكاتب الجماهيري لا يمكنه الانعزال في أبراج الثقافة العاجية المتعالية، كما لا يمكنه بنزعته النقدية والإيجابية إلى أن يواري رأسه بين جناحي السكوت أو التملق الاجتماعي، كما إن الموضوعات الاجتماعية التي تناولتها النصوص موزعة بدورها إلى موضوعات فرعية، فمنها النص الذي يتحدث عن مسألة تعليمية أو تربوية أو ثقافية أو اقتصادية أو مالية أو أخلاقية فردية أو أخلاقية جمعية، كما تنخرط نصوص أخرى في بحث مشكلات تتعلق بعالم المرأة المحلي، وأسئلة تتصل بحقوقها الاجتماعية، وواجباتها مثل: عملها في قطاعات الدولة المختلفة، وحقها في قيادة السيارة، والمشكلات الأخلاقية والاجتماعية المترتبة عن هذا الحق.

ولعل أهم موضوع اجتماعي ركزت عليه الكاتبة في حقوق المرأة الحق في اختيار الزوج، وحقوقها المترتبة شرعيا بعد طلاقها، وما إلى ذلك من تفاصيل هذه الظاهرة، ومن النصوص المهمة في هذا الاتجاه، نصا "زواج القاصرات والوأد الحضاري"، و"موؤودة القصيم .. والعزاء الحزين"، كما شغل النص الاجتماعي بعالم الطفولة، واحتياجاتها النفسية والاجتماعية والتربوية معدل نصين على الأقل، ناهيك عن انفتاح الكاتبة على الآخر، من خلال وصف بعض التجارب المدنية والحضارية الرائدة، بما يحمله النص الوصفي من مضمرات تحث على ضرورة الاستفادة من تجربة التطوير والإنماء، بخاصة في نصوص "معجزة موسى، وانشقاق البحر في كوريا" و"الشمس المهاجرة " و"متعودين يا سيدتي الإماراتية متعودين!".

إن ما يتطلع البحث إلى إبرازه الكشف عن إستراتيجية الإقناع لدى الكاتبة في هـذه النصوص المختارة، متوخيا منهجا وصفيا يعتمد قواعـد تداولية لينة فـي قراءة النصوص، غير متوغل في تحليل المضمون، توخيا للصرامة العلمية التي يحرص عليها التحليل اللساني في أدبياته النظرية، فهدف البحث، على ما خطط له، إبراز خصائص القول لسانيا، وأبعاده الحجاجية، وإن كان فصل الدال عن مدلوله في حدث التلفظ أشبه بالمستحيل.

وانطلاقا من هـذه الرؤيـة الكلية لـن يتـورط البحث فـي تتبع تفاصيل البنية الصرفية أو التركيبية أو المعجمية إلا بالقدر الذي يسنح بإبراز طرائق الحجاج وأدواته في النصوص المعينة، فالتحليل التداولي، وإن كان مؤسسا على العلاقات الصرفية والتركيبية والمعجمية والدلالية إلا أنه مولع بتحويل الأنساق إلى أفعال يجري البحث عنها في صيرورة الخطاب، وحركيته الاجتماعية بالدرجة الأولى، مما يفسح المجال للقارئ كي يسِمَ الخطاب بانسجامه الذاتي داخليا بين مكوناته اللسانية من جهة، وانسجامه الخارجي مع العالم الذي يعبر عنه، ويصوره، هذا ويقوم التحليل النصي التداولي على مباشرة المحاور الآتية:

أ) السرد تقنية حجاجية مائزة

فـي نصها "العشق والاستغفال" تنخرط رقيـة سليمان فـي نسج خيوط حكاية حدث لشخصية متخيلة سقطت في حبائل المكيدة الاجتماعية، ومخادعة الآخرين جراء غفلتها، وسذاجة تفكيرها، فقد قادها تسرعها، وجريها وراء العاطفة، والاشتهاء إلى الوقوع في مأزق اجتماعي حقيقي.

لقـد صـور النـص السردي الذي تتضافر فيـه عناصر السردي الأساسية من شخصيات، وحكاية حدث مركزي، وزمان ومكان، وحبكة جلت الصراع النفس

والاجتماعي في بعض أبعاده التخاطبية مأساة الرجل الشرقي الذي يندفع إلى إقامة علاقة عاطفية، قد تتطور إلى علاقة ديمومة برباط الزواج من أول نظرة تقع عينه على فتاة الأحلام المتخيلة، دون أن تكون هناك دراسة عقلانية واجتماعية للشخصية المطلوبة.

فقد تسارعت أحداث الحكاية، وتفاعلت شخصياتها تفاعلا إيجابيا ظاهرة لمساعدة البطل المفترض على الوصول إلى محبوبته التي تعرف عليها بنظرة عابرة في إحدى الأسواق، وها هو يتقدم إلى خطبتها، ويتمم الزواج منها، ويعاونه على الوصول إلى موضوع القيمة مساعدون من أهلها على طريقة الحكايات العجائبية التي تجسد التفكير الساذج والبدائي للعلاقة الاجتماعية بين الناس، وبالرغم من انهماك بعض المقاطع الوصفية في عرض جوانب الموقف، وتصوير الظروف الحافة، فالمحبوبة المطلوبة أرملة لها أبناء ثلاثة، والطالب المنفعل في فضاء الحكاية أب له أبناء أيضا، ومع هذا التناقض الذي يفترض توقف الحدث في لحظة زمنية محددة بالنظرة العابرة في السوق إلا أنه امتد، ونمى نحو عقدة قصصية محبوكة الأواصر، كاشفة عن أنماط من السلوك الفردي، والاجتماعي السائدة بصورة تلقائية، تعكس عفوية الإنسان، وإيغاله في العاطفة في مقام يتطلب التعقل، وتملك الذات. إن تسارع الأحداث المروية على لسان الشخصية المحورية المنفعلة، والناطقة بلسان حالها يشبه استدعاء ذكريات سيرة مريرة تصور تجربة تآمر المجتمع على رغبة الإنسان، مستغلة ظروفه النفسية والعاطفية، غير آبهة لمخاطر الخداع، والتحايل الشرعي على النسيج الاجتماعي.

إن الخطاب السردي المنجز يضمر فعلا كلاميا أساسا يتمثل في الدعوة إلى بناء العلاقة الاجتماعية على أساس من الصراحة والإخلاص والعقلانية في الاختيار.

كما يندمج الخطاب في سياق فعل النقد الذاتي للبنية الاجتماعية، وسلوكها، وأطرها العليا وتصورها للحياة، وكيفية تمثلها للشرائع والقيم.

لقد بني النص المعين على نظام مقطعي متدرج يتداخل فيه الوصف مع السرد، تارة، وهيمن فيه الوصف تارة أخرى، متسقا مع عرض الإطار المكاني والزماني والشخصيات الفاعلة في الحدث، ومن نماذج اللوحات الوصفية الموطئة للحدث، والمتحكمة في استمرارية فعل السرد وصف مكان إقامة المرأة المطلوبة (موضوع القيمة): «وحين دخلت منزلهم وجدته قصراً منيفاً لا يتواءم قط مع وضعي الاقتصادي! برغم شغلي وظيفة مرموقة. قابلتُ والدها وإخوتها، وكان الأمر انسيابياً بدرجة عجيبة حين رفضوا قبول مهر أو مسكن خاص أو إقامة حفل زواج، باعتبار أنهم كسبوا إنساناً في أخلاقه، رجلاً في سلوكه»، كما انغمست الذات الساردة في فعل الوصف من خلال تقديمها للوحة جمالية تصور الجمال الخلقي للمحبوبة لا تخلو من إثارة وتلذذ شهواني، يدرج حضور المرأة في صميم فعل الإغواء واللذة، وقرائن هذا التشكل قول الواصف: «وإن سألتم عن حبيبتي فجمالها فتان وحديثها عذبٌ وعقلها راجحٌ، وخفة دمها طاغية، عدا أنها متحدثة بارعة، ذات أناقة متناهية في الذوق ورائحة كالأريج! وحين تكون نائمة ببراءة أتأملها» فقد ركزت هذه اللوحة وصفها للصفات المعنوية، التي تملك سلطة تأثيرية على صنف من الناس منها: الجمال والعقل وخفة الدم وحسن الحديث والأناقة والبراءة، ولعلها صورة مثالية لحب حالم!!.

أما صور الإغراء فتلمح من إيحاء ما يحدث بين كل الأزواج في الليلة الأولى والثانية والثالثة: «قضينا سوياً الليلة الأولى في فندق متميز كأجمل سنوات العمر، وتلتها الليلة الثانية والثالثة». وفي سرد الراوي الذي يصور مقدمات الوصال التي تسمح بانفلات هوس الجنس، وتغلغله في شخصية الرجل في الفضاء النصي للحكاية،

واستحواذه من جهة أخرى على تفكير المبدعين الذين يرونه أداة تأثيرية مقصودة للإيقاع بالمتلقي في حبائل الغواية، تمهيد لشن حركته المقاومة لأطروحتهم، ودعواهم التي يحاججون من أجلها من شواهد ذلك البوح التالي: «أقتربُ منها وأمسك بيدها وأقبلها وأنا ما قبلت يد أمي أو أبي قط! ووددتُ لو قبلتُ قدمها وأظافرها وشعرها الأسود! وأجدني وأنا الرجل الراشد لا أستنكف أن أشمَّ رائحة ملابسها!»، إلا أن حركة الحدث، وتسارع تفاصيله سرعان ما تعيد النص إلى التشكل السردي عبر توالي المقاطع السردية، من مثل ما تجسده المقاطع التالية التي يقتحم فيها سرد الأحداث وصف الحالة النفسية والعاطفية للزوج المبهور بجمال محبوبته، فقد قضيا سوياً الليلة الأولى في فندق متميز كأجمل سنوات العمر، وتلتها الليلة الثانية والثالثة.

وإن سألتم عن حبيبتي فجمالها فتان وحديثها عذبٌ وعقلها راجحٌ، وخفة دمها طاغية، عدا أنها متحدثة بارعة، ذات أناقة متناهية في الذوق ورائحة كالأريج! وحين تكون نائمة ببراءة أتأملها فتتضاءل نفسي أمام خالقي شكراً له على أن وهبني هذه الإنسانة، ولم يُطِلْ عليَّ لواعجَ الاشتياق ولوعةَ الانتظار وقسوة البعد! أقتربُ منها وأمسك بيدها وأقبلها وأنا ما قبلت يد أمي أو أبي قط! ووددتُ لو قبلتُ قدمها وأظافرها وشعرها الأسود! وأجدني وأنا الرجل الراشد لا أستنكف أن أشمَّ رائحة ملابسها! كانت هي تتعب فتنام وكنتُ أتعب فلا أستطيع النوم خشية أن أكون في حُلم فأستيقظ وأفقد حبيبتي! واستكمالاً لهذا الكرنفال الفريد وددت قضاء شهر في أوروبا التي طالما تمنيتُ أن يرافقني إليها من يشاركني مشاعري. أنهيتُ إجراءات السفر بينما تركت الحبيبة تودع أسرتها، وحين هاتفتها لأستعجلها، لم ترد عليَّ إطلاقاً برغم إعادة الاتصال! وحيث لم يبقَ إلا وقت قصير على موعد إقلاع الطائرة حملت حقيبتي، وذهبت لمنزل والدها. وقابلت أحد إخوتها فاعتذر لي بلطف بعدم سفرها

معي! وعندما طلبتُ مقابلتها عاجلني أخوها الآخر بإطلاق قنبلة بددت الحلم: انتهى الفيلم يا بطل.

إن خرق أفق انتظار المتلقي تشكل عبر مفاجأته بما لم يكن متوقع في صيرورة الأحداث، فقد توقف الوصل، وتحول إلى انفصال بقطع الاتصال المفاجئ بين الزوج وزوجته، واعتراض الإخوة على السفر، وإلى هذا الحد قد يبدو الوضع غير مثير للدهشة فقد يكون السبب عارض صحي أو حادث من نوع ما، لكن مالم تتوقعه الشخصية المحورية المنفعلة فأن يتخذ هذا الزواج حيلة شرعية عبر عنها النص ب تحليل الزوج الأول.

إن هذا التفسير المفاجئ الذي تحكيه الشخصية، والذي عد خاتمة غير متوقعة لفيلم سينمائي درامي بكل المقاييس الفنية والاجتماعية يعد بؤرة الحدث، بل وأطروحته الأساسة التي ارتأت الكاتبة عرضها مجانبة الأسلوب المنبري المباشر في شرحه، ونقده اجتماعيا وأخلاقيا. إن خرق التوقع في الحقيقة خرق لقوانين الخطاب، وشرائطه الأساسية، والتي نقلته من مجرد السرد والوصف إلى إنفاذ فعل الرفض، ومطالبة المجتمع أن يعيد النظر في سلوكه وتفكيره.

أما الموقف الذاتي الذي أنجز فعلا تعبيريا أساسيا هو الاعتراف بالخطأ فقد أوقعه المقطع الختامي «فوجدتُ أنني كنتُ مندفعاً وساذجاً ومغفلاً! فبكيتُ بكاءً مراً! وبكيت لأنني شعرت بالاستغفال والهوان وهدر الكرامة بسبب نظرة طائشة وعاطفة جارفة! لم أجد بداً من إرسال ورقة الطلاق بعد مرور أسبوعين على حكاية التسوق إياها». لقد بدا ضمير الغائب العائد على شخصية الزوج الأول الهزيلة في ظاهر الحدث موسوما بالغباء في وصف السارد ضميرا مهيمنا يحين الشخصية الفاعلة

بالرغم من غيابها النصي، ويجعل من شخصية الراوي السارد البطل شخصية منفعلة بالرغم من حضورها البارز والمهيمن في الخطاب.

أما الزوجة فقد حضرت بوظيفة سلبية غير نامية من حيث كونها شخصية جامدة منفعلة في جميع الأحوال. لقد عبر المقطع الختامي في قيامه على المفارقة بين حالين، والمقابلة بين صورتين عن عمق الصراع بين الحب والإخلاص والجمال بالرغم من تصويره في صورة سذاجة وغفلة واستسلام، و اللاحب واللاخلاص واللاجمال بالرغم من وسمه بالغباء والجفاء، إلا أن هذا الصراع مازال طافحا بالأمل في الوصال فإن لم يكن ذلك اليوم، فلعله يكون غدا في عالم الحلم أو الآخرة.

هذا وقد تشكلت المفارقة في هذا المقطع في المستوى الصرفي بتوظيف صيغتي اسم الفاعل والمفعول بدرجة متكافئة تقريبا، ومن أمثلة ذلك: مندفع - ساذج - مغفل - طائشة - جارفة. كما يكشف هذا النص عن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية التي تعكس نمط العيش، وثقافة الاستهلاك (التسوق - فندق متميز)، وأذواق الأفراد (احتساء فنجان من القهوة - قضاء شهر العسل في أوربا)[١٢]، ورؤية المجتمع للعلاقات العائلية (ذلك الملاك الجميل الذي أيقض مشاعري بعد سبات طويل)،

---

(١٢) يضمر هذا التعبير زيادة على ما استلزمه من دلالة اجتماعية تعكس بعض تقاليد الزواج في بعض المجتمعات، وعند بعض الطبقات نظرة الأنا للآخر، وصورة الغرب الأوربي الجميل والمتحضر في مخيال العربي الباحث عن اللذة والمتعة والسياحة والجمال في ثقافة وحضارة الآخر، وهذا الخطاب المضمر يعبر عن انسلاخ الذات وذوبانها في الآخر في حقيقة الأمر، ولا يمكن أن يكون مجرد تعبير بخاصة وأن قراءة تأويلية تقوم على تعاضد الخطابات، وانسجام أطروحتها يمكن أن تستفز الموقف السلبي من السياحة الاجتماعية داخل الوطن الذي لا تتوافر فيه أدنى مسببات الراحة ناهيك عن أن يكون مكانا مناسبا لقضاء حلم العسل، انظر نص مواطن وسياحة داخلية.

ولعل تحليلا معجميا سيفرز لنا عددا من الوحدات الاجتماعية المنضوية تحت سجل معجمي واحد في موضوعته الأساسية، مثل سجل الزواج الذي تستدعى فيه لكسيمات مثل: المهر الخطبة – الأبناء العمر – الوالدين – المسكن الحفل – الإخوة – المنزل – ورقة الطلاق – قصة حب.

ب) وظيفة الحكي في النص الإعلامي

استدعي الحكي[١٣] بوصفه أداة تعبيرية خلاقة تتماهى عبرها المكونات النصية الداخلية مع القيم الإنسانية المقامية، قصد تشكيل البناء النصي الحامل للثقافة الجمعية، فالحكي مسألة ثقافية متصلة بالأطر الذهنية السائدة اجتماعيا، ناهيك عن تحكمها في عمليتي الإنتاج والتأويل[١٤].

---

(١٣) يعد الحكي فعلا قوليا إنسانيا مصاحبا للتجربة اللغوية البشرية، فمنذ عهود غابرة انطلق الإنسان في حكاية تاريخه، وقص الأحداث التي شهدها لأبنائه وأحفاده، تلك الأحداث التي شارك في إنجازها، أو كان شاهدا على وقوعها، وربما تصورها، ومحاولة تثبيت ذلك بالكتابة أو النقش والتصوير أو المشافهة، فلقد ابتدع الأوائل الكتابة لتكون أداتهم الطيعة لتثبيت الوقائع في ذاكرة الزمن، بعد أن فشلت الرواية في ذلك، إمعانا منهم في ربط الحضارة بالحكي. فالسرد من الناحية الثقافية لا يميز حضارة من أخرى، كما دلت الدراسات النفسية والتربوية على أن من أولى مكتسبات الطفل في سنينه الأولى تملكه كفاية الحكي، فالسرد والقص كفاية نفسية ومنطقية وقولية وسيميائية، انظر جمل كديك، **"السيميائيات السردية بين النمط السردي والنوع الأدبي"**، بحث منشور ضمن أعمال ملتقى "السيميائية والنص الأدبي"، بمعهد اللغة العربية بجامعة باجي مختار- عنابة، الجزائر، ١٧ مايو ١٩٩٥، ص ٢٧٨ وما بعدها.

(١٤) عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص ٢٤٧. وانظر أيضا تطور البحث في السرد بخاصة من الناحية السيميائية، عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ص ١٢٩ وما بعدها.

وفي سياق البعد التداولي لظاهرة الحكي تنزلت ثلة من الدراسات اللسانية والنقدية والسيميائية والاجتماعية والنفسية والأنثروبولوجية مؤطرة مسألة الحكي في الخطاب العام، والخطاب الأدبي بخاصة، من خلال أعمال فلاديمير بروب في دراسته للحكاية الشعبية الروسية، ثم دراسات وليام لابوف الاجتماعية، والتي نهضت على مكاشفة هيكل البناء القصصي، وأصوله العميقة في التركيب، باعتبارها مؤشرا على ما عرف لا حقا بالبنية القصصية العليا، الثاوية خلف التنوعات النصية(١٥).

كما ارتكز التحليل النفسي للقص على إبراز على إبراز المنظور الذهني والحالة النفسية المتغيرة، والتي تعكس البعد القيمي لرؤية العالم عند الكاتب السارد، والتي يتم تسليطها بحدث التلفظ على الشخصيات(١٦).

أما نظرية تحليل الخطاب فقد اتجهت في مباشرتها السردية إلى محاولة بناء نحو قصصي (Grammaire de Reci) تأسيا بمفهوم نحو النص في إطاره الشمولي، على أن يقوم هذا النحو بوصف وتحليل خصوصيات البناء التركيبي، والتي يمكن عدها منظومة قواعد خطابية تضبط فاعلية السرد، وتضمن تماسكه الشكلي والمضموني، باعتباره بنية مشهدية نامية، تتدرج فيها الأحداث لتصل إلى لحظة من التأزم والتعقيد.

---

(١٥) انظر: حميد لحميداني، **بنية النص السردي**، ص١٠، كما بين لابوف قيام القص على قواعد كلية تشكل البنية العليا (Macrostructure) هي: التجريد والتوجيه والتعقيد والحل والمقطع الختامي، فبينما يضطلع التجريد بتحديد الإطار الزماني والمكاني والشخصيات، تقدم قاعدة التوجيه أهمية القصة محققة خاصية التشويق التي غادة ملمحا نصيا مميزا في الحكي، أما المقطع الختامي فيمثل المخرج اللغوي بجملة أو بضعة جمل تلي حل العقدة، انظر توسعا: Vanjk,Discourse as structure and process, p195، وانظر أيضا عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص٢٤٧.

(١٦) المرجع نفسه، ص ٢٤٨، وأيضا Ibid ,p196-198.

ثم تسير نحو الانفراج، ثم الحل[١٧]، وفي هذا السياق تقع اهتمامات **فان ديك**، المسلطة على تحليل النص السردي بخاصة في كتابه "علم النص، مدخل متعدد الاختصاصات"، فقد تصدى إلى وضع خطاطة البنية العليا للنص السردي، وضوابطه اللسانية والتداولية[١٨]، مستثمرا في ذلك مجمل التصورات التي أنتجتها حركة البنيوية السردية والسيميائيات السردية والتداوليات، وتتكون هذه البنية المجردة عبر بناء طبقي استدعائي من قيمة أخلاقية تنقلها الحكاية من خلال حبكة مشكلة من ترابط مشهدي يحيل على إطار موضوعي، ومقامي معين، تنجز فيه الأحداث الكلامية من حيث كونها أفعالا اجتماعية[١٩] متدرجة من عقدة إلى حل[٢٠].

إن الإفاضة في هذا السياق النظري إطار مصاحب لما تعتزم الدراسة مباشرته في بنية الحكاية المضمنة في الخطاب السرد إعلامي[٢١]، والذي يمثل له من المدونة نص "العشق والاستغفال" بهدف تيسير وصف بنيته العليا باعتباره نصا سرديا، بغض النظر

---

(١٧) Ibid ,p197.

(١٨) انظر: فان ديك، **علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات**، ص٢٣٠.

(١٩) كانت البدايات الأولى لنظرية الأفعال الاجتماعية قبل الحرب العالمية الأولى مع رينباخ، الذي دعا إلى ضرورة التمييز بين وصف الأعمال الاجتماعية وتفسيرها، من ناحية، وضرورة الفصل بين الأقوال التي لها قيمة تصديقية، والتي لها قيمة تصورية، والمقصود الحدث أو العمل الاجتماعي، الفعل المنجز بمجرد التلفظ بقول ما، مما يخلق سلسلة من الالتزامات والحقوق بين المتكلم والمستمع، انظر توسعا: جاك موشلار، آن ريبول، **القاموس الموسوعي للتداولية**، الفصل الأول، نظرية الأعمال اللغوية، ترجمة شكري مبخوت، ص ٤٦.

(٢٠) انظر: فان ديك، **علم النص مدخل متداخل الاختصاصات**، ص ٢٣٠ و٢٣١.

(٢١) يقصد بها المصطلح الجامع تفعيل السرد لخدمة القيمة الإعلامية للنص الإعلامي، تمييزا له عن السرد القصصي، وهذا المصطلح من وضع الباحث.

عن كونه مكتملا أو ناقصا من حيث تقنيات البناء والتشكل الدرامي، وعدّ ذلك مدخلا تأسيسيا لتصور الثابت والمتحول في القصة الإعلامية ذات البعد الحجاجي، إذ تحاجج أصالة عن أطروحة اجتماعية، وقيمة أخلاقية معينة لا يتم الإفصاح عنها بداية، فما من شك في كون القصة المضمنة في خطاب الكاتبة الصحفي الإعلامي غير مقصودة لذاتها، من حيث كونها مؤدية لوظيفة شعرية سردية، وإنما الغرض منها الإقناع بالأطروحة التي تعكس رؤية الكاتبة وموقفها من بعض السلوكات الاجتماعية الناشزة عن القيم النبيلة، مثل الوفاء والإخلاص، والفهم الموضوعي للشرائع.

وتنطلق المباشرة السردية للنص المعين من سؤال منهجي مهم، هو: ما هي الأسس البنوية المعتمدة لتأويل هذا النص سرديا ليتسنى القول بكونه خطابا سرديا؟[٢٢] الحقيقة إن الإجابة عن هذا السؤال مرتبطة بوصف العناصر التالية :١- العنوان، ٢- الشخصيات، ٣- الزمان والمكان، ٤- العقدة، ٥- الحل. فانطلاقا من عنوان النص "العشق والاستغفال"[٢٣] تتسرب إلى ذهن القارئ دلالة رئيسة هي دلالة المفارقة بين حالتين متضادتين، هما حالة العشق الذي يتطلب أمانا، وإخلاصا، والاستغفال القائم على الخدعة، والضحك على ذقون الناس، فيضحي قيمة سلبية مناوئة لقيمة إيجابية تطفح بها لفظة العشق، مما يكون مدعاة لإثارة سخرية القارئ من العاشق المغفل، من ناحية، وإقباله على معرفة المزيد عن هذه الصورة وأحوالها من جهة ثانية.

---

(٢٢) انظر: عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص ٢٥١.

(٢٣) عن الوظيفة التنبيهية للعنوان، وأهمية العنونة وقواعدها ينظر: الجزار، محمد فكري، **العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي**، (د ت ط) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٢١ وما بعدها.

كما إن لعبة المفارقة القائمة على الجمع بين الصور والمواقف المتضادة تعبر في الحقيقة عن البعد الواقعي فلا نكاد نجد واقعا عينيا لا يمكن النظر إليه نظرتين متعارضتين، ولا يحيط به الفكر في مفهومين متعارضين، فإذا أريد الوصول إلى معرفة عميقة بالشيء فلا مناص من استدعاء المتضادات اللغوية[٢٤].

إن هذا العنوان الصادم لأفق التوقع كغيره من عناوين النصوص الإعلامية يخاتل فكر القارئ، ممارسا عليه فعلا طلبيا ضمنيا يدعى عبره القارئ إلى الانتباه، والشروع في عمل القراءة[٢٥]، هذا وقد بني هذا الخطاب على مقدمة افتتاحية تشبه في سندها القولي[٢٦] للذات السّاردة استهلال سائر الحكايات والروايات والقصص القصيرة.

أما النص الحكائي فخلاصته وقوع شخصية في مكيدة نسائية تحولت من خلالها إلى محلل شرعي، يمكّن المرأة المطلقة من الرجوع إلى عصمة زوجها الأول، محققة بفعل الخدعة دلالة الاستغفال التي أشّر لها العنوان، بل يمكن القول بأن البناء المجرد الذي صاغه **فان ديك** يتحقق في هذه الحبكة [٢٧]، كما تقدم الحكاية رسما سريعا

---

(٢٤) انظر: وعزيز، الطاهر، **المناهج الفلسفية**، ط١، المغرب، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠، ص ٧٣ و٧٤.

(٢٥) يمارس الخطاب الإعلامي الصحفي بعامة فعل الغواية النفسية لجلب أكبر عدد ممكن من القراء الذين تستهويهم العناوين البراقة والمخضبة بدلالات التناقض والعبثية والانحراف عن مألوفات الصور.

(٢٦) وظيفة السند القصصي لراو مفترض علامة مائزة في الخطاب السردي، ناهيك عن دور الإيهام الذي يضطلع به في تكوين فضاء واقعي تتحرك فيه الأحداث، ومن ثم التأثير في المتلقي بواقعية الأحداث، انظر أيمكن بكر، **السرد في مقامات الهمذاني**، ص ١٣ وما بعدها.

(٢٧) انظر: فان ديك، **علم النص**، ص٢٢٦ وما بعدها.

للشخصيات الأساسية، مثل شخصية البطل الضحية، والبطلة المخادعة (الزوجة الجديدة)، وأهلها الذين جمعوا بين صورتين متناقضتين فهم في الصورة الأولى مثل للين والأمانة والمصاهرة الطيبة، وهم في الصورة الثانية مثل للغلظة والمخادعة وسوء الأخلاق.

كما تظهر الخدعة في مستوى ضمني من خلال خداع الزوج الضحية لزوجته الأولى وأولاده، فقد امتنع عن إخبارهم، معتقدا أن ذلك حق خاص به. أما المكان فمتغير عبر مسافة النص، فهناك السوق، وهناك المسكن الجديد، وهناك البلاد الأخرى (شهر العسل)، وهناك سكن العائلة، كما تميز زمن القص بالامتداد من الماضي إلى الحاضر. كما تأطّر الحدث الرئيس بسياق نفسي مصاحب لعرض الشخصيات مع بداية القصة تزدحم فيه دلالات العشق والحب والمودة في أعلى درجاتها بين زوجين منسجمين، في مقابل سياق مصاحب للخاتمة يشي بعدم الأمن، والتناقضات الاجتماعية الصارخة.

أما الشخصيات فقد توزعت على نوعين شخصيات أساسة فاعلة، ومنفعلة (قابلة للأثر) من دون أن يكون هناك تدرج في نموها إذ تظهر في صورة ما مكتملة، ثم تظهر في أخرى مخالفة، بدون أن يكون هناك تدرج في تغيرها السلوكي، أو مواقفها الخاصة. بالإضافة إلى الشخصية الأساسية تظهر على مسرح القصة شخصيات مساعدة، ما تلبث أن تغير جلدها، ومن ثم وظيفتها لتضحي شخصيات معارضة في البرنامج السردي، وهم إخوان الزوجة الخادعة.

أما شخصية الزوج المغفل فقد بدت بحالين مختلفتين، في أولاهما ظهرت شخصية عاشقة، تولع بالنظرة الأولى، تغلبها العاطفة بل النزوة، فلا لها التفكير مليا، وكأنها تأخذ الزواج على أنه ترف اجتماعي، ليست له أية تبعات نفسية واجتماعية على

العلاقات الخاصة والعامة، مما يحين النص إلى إضمار رؤية اجتماعية للزواج أقل ما يمكن قوله عنها أنها رؤية سلبية. لقد أضحت شخصية العاشق المفتون بالنظرة الأولى محورا نسجت حوله خيوط الحبكة القصصية، فغدا العشق معادلا موضوعيا للاحتيال والاستغفال. هذا ويتنوع المكان بتنوع الأحداث، وتسارعها، فبينما سكتت القصة عن المكان العام (المدينة)، أفصحت عن أمكنة فرعية، مثل : السوق – السكن العائلي، كما سكت الوصف عن التغلغل في تفاصيل المكان انسجاما مع البنية الكلية للقصة القصيرة، التي سيطر على مسرح بنائها الحدث، باعتبارها قصة حدث بالدرجة الأولى[٢٨].

أما التركيز على وصف الحالة النفسية لشخصية الضحية، فقد حدث تلبية للغرض العام من الخطاب، وفعله الكلامي المنجز، كما يتغلف[٢٩] الحدث بزمن الحكي في الماضي مستمرا في الحاضر، وعلامة ذلك تداخل صيغ الماضي بالمضارع (الحاضر/ المستقبل).

يمكن الزعم إجمالا أن القصة مكتنفة بزمنين هما؛ الزمن العام للحكي، والزمن الخاص بواقعة الاستغفال، وكلاهما على لسان الراوي الضحية، الذي يحكي حدثا يمثل جزءا من سيرة ذاتية، بالإضافة إلى زمن تلقي الحكاية الذي يميز بوساطته بين زمن الحكاية العامة، وزمن الحكاية الإعلامية عند الكاتبة رقية سليمان. كما يصاحب حل العقدة شعور نفسي ذو بعد اجتماعي يدعو إلى تغيير السلوك الاجتماعي من خلال إنكار الحل، وعده ضربا من ضروب الخداع الاجتماعي، الذي يضعف حبال الأمان، ويخلل القيم الدينية والأخلاقية السائدة.

---

(٢٨) انظر: لحميداني حميد، **بنية النص السردي**، ص.

(٢٩) انظر: عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص ٢٥٧.

لقد وضعت الكاتبة آراءها وأحاسيسها بأسلوب غير صريح بين مجريات الحدث، موهمة القارئ بواقعية الحادثة، مع إمكان حدوثها، واضعة إياه في حالة ترقب مستمر، وتأمل دائم لسلوكات المجتمع[٣٠]، التي تنحرف أحيانا عن المنشود من القيم، فترهن ثقة أفراده ببعضهم، عن طريق تسويغ ثقافة الاستغفال، والتمكين لرؤية الشطار والطفيليين الذين وصفهم الأدب القديم، وأمعن في الترويج لمكيافليتهم عن طريق المقامات، فليست الغاية مبررة للوسيلة !! .

يشير فان ديك (Van Dijk) إلى أن الحبكة من حيث هي تتابع للأحداث القصصية وفق منطق حكائي معين تمثل مشكلة الخطاب الأساسية (Probleme) الممثلة لبؤرة الحدث، وتعقيداته المعبرة عن جوهر الصراع بين الشخصيات[٣١]، وإن كان الصراع غير عنيف في هذه القصة، من خلال البحث في رؤية القاص عن حل أو مجموعة حلول متوقعة لحدث مركزي غير متوقع في انحرافه، وفي هذا السياق تظهر عقدة النص – كما مر بنا – في خداع الزوجة وأهلها للعاشق، الذي توقع استمرار الود والوصال.

من خلال الشروع في إنجاز برنامج السفر لقضاء أيام العسل خارج الوطن[٣٢]، غير إن ما لم يتوقعه هو صدود الزوجة (وظيفة المنع)، وإعراض أهلها، ومكاشفتهم له

---

(٣٠) المرجع نفسه، ص ٢٥٨و ٢٥٩.

(٣١) يستدعي برنامج السفر إلى الخارج نصا آخر للكاتبة أعلنت فيه فشل السياحة الداخلية، وموقف المؤسسة الاجتماعية من ثقافة السياحة نفسها، ناهيك عما يضمره هذا البرنامج من إيحاء بعدم الأمن، والذي يعود إلى مخافة أن ينكشف أمره أمام أقاربه، أو أقارب زوجته الأولى، فالمكان الأكثر أمانا هو البلاد الأخرى.

(٣٢) Van Dijk,discourse as strcture and process, p 192-193

بالحقيقة التي وقعت عليه وقوع الصاعقة، فكان هذا الحدث مؤشرا على بداية الانفصال الضمني بين القول والفعل من جهة وبين الإنسان ومجتمعه من ناحية ثانية.

لقد خلق الحدث في تأزمه النفسي وضعية اللاتوازن في المجتمع عبر سلوك بعض أفراده، فالحدث غير قابل للتعميم، وسرعان ما انكشف زيف الزوجة، وادعاؤها الحب والود، وبدا أهلها مجرد محتالين بعد أن ظهروا بمظهر الوقار والأدب، مما يذكر القارئ بحكايات أبي الفتح السكندري الشيخ المحتال الوقور[٣٣]. يوضع القارئ أمام ثنائيات متقابلة تختزل بنية صراع القيم الاجتماعية، مثل: (الزوج/ الزوجة)، (المرأة / الرجل)، (الحب/ الكره)، (الإخلاص/ الخديعة)، (العادات / الدين)، (الاتصال/ الانفصال)، ولنا تصور هذه الثنائيات في ضوء علاقة التقابل بين الزوج والزوجة:

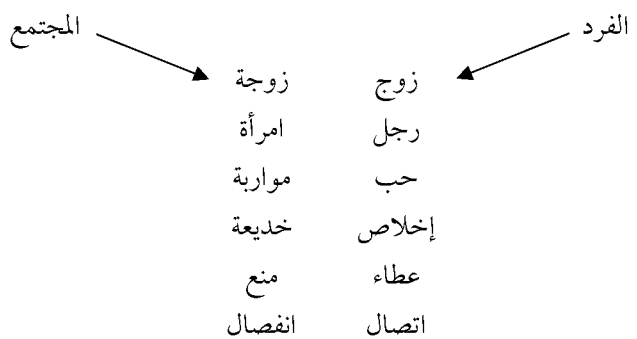

أما الحل فقد كشف عنه في نهاية الحكاية من خلال افتضاح أمر البطلة المحتالة (الزوجة)، من خلال شخصية مساعدة هي شخصية الإخوان (أهلها) في تعبيرهم الرمزي عن المجتمع، وأسدل الستار عبر المقطع الختامي الذي عبر الضحية من خلاله على ألمه لفراق المحبوب الذي ترك فراقه كلما لا يندمل!!

---

(٣٣) انظر: عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص ٢٦٢ بتصرف.

ج) بنية الإخبار ونظام المقاطع في نص "الشمس المهاجرة"

في نص "الشمس المهاجرة" تسلك المحاججة نسقا آخر في دعوة التغيير الاجتماعي والثقافي، ذلكم هو نسق تفسير الحقائق العلمية، ونتائج الحراك التكنولوجي في العالم المتقدم، والاحتجاج بها على ضرورة تغيير الواقع الاجتماعي في تطلعه الساكن للمستقبل، وسلوك مسلك العلم والإبداع، لتحويل هذا التطلع إلى حقيقة حية.

وبالنسبة إلى الذات المتلفظة فإن النص يعرضها ذاتا مستأثرة منذ البدء بالمعلومة، إذ تتحول إلى مصدر للمعرفة يشع بتفاصيل مهمة عن الطاقة الشمسية، وجوانب استخدامها، ومزاياها على القارئ الذي يبدو جاهلا لتفاصيل المسألة، وعلامة جهله ارتكاز النص على عرض معلومات تبدو بسيطة أو أولية، لا تغرق في وصف تقنيات الظاهرة، وحيثياتها العلمية الدقيقة، وتشعباتها، فسؤال الكيف غير واضح في مسار التعبير، لذا فقد هيمن الوصف والإخبار في بعديه الشارح والمعرف للموضوع على سائر الأغراض الأخرى، ولعل الاقتراب إلى مقصد الباثة مرتهن بداءة بتقطيع النص إلى نسج مقطعية أساسة وفق مبدأ تغير وجهة الخطاب، وضميره المهيمن من جهة، وغرضه من جهة ثانية، فيكون النص مكونا من المقطع الافتتاحي الإخباري الأول الذي يعرض الأطروحة الأساسية ممثلة في عناية الغرب باستثمار وإنتاج الطاقة الشمسية باعتبارها طاقة بديلة: «تشارك عدد من كبريات الشركات الأوروبية المتخصصة في إنتاج الطاقة ونقلها، وتمويلها بمشروع (Desert Tec) لإنتاج الطاقة المتجددة باستغلال الطاقة الشمسية المتوفرة في صحاري شمال إفريقيا والشرق الأوسط ونقلها إلى أوروبا.

وتشير تقديرات الشركة إلى أن ما تستقبله صحاري العالم من طاقة شمسية لمدة ست ساعات فقط يكفي لاستهلاك سكان العالم أجمع خلال عام بأكمله! وتلوّح

تصورات (ديزرت تك) إلى إمكانية إنتاج صحارى شمال أفريقيا والشرق الأوسط في عام ٢٠٢٠م طاقة بقوة ٢٠ غيغا وات، أي ما يعادل إنتاج ٢٠ محطة تقليدية لإنتاج الطاقة، ويمكن التوصل لتأمين ١٥٪ من استهلاك الطاقة الكهربائية في أوروبا من تلك الشموس الحارقة. أما المقطع الإخبار الثاني فيقدم مبررات توظيف الطاقة الشمسية باعتبارها حجة عملية واقعية، تعضد موقف المحاججة في دعوتها الصريحة إلى استغلال هذا النوع من الطاقة: «وإن كان الوقت المحدد لتطبيق مشروع الطاقة الشمسية قد يمتد إلى عام ٢٠٥٠م، ويستغرق وقتا ليس بالقليل لأجل رؤية هذه المحطة الضخمة للطاقة الشمسية منصوبة في الصحراء. إلا أن المشروع ما زال في حكم الفكرة والتصور، برغم أن تكنولوجيا نقل الطاقة الكهربائية من شمال إفريقيا للشرق الأوسط وأوروبا متوفرة، ويمكن تطبيقها فورا، حيث إن هذه التجربة طبقت في الصين من خلال مشروع نقل طاقة تعادل إنتاج ست محطات نووية، كما أنجز مشروع ضخم لنقل الطاقة بين النرويج وهولندا عبر أطول خط بحري. ويذكر مسؤول التسويق بمشروع ديزرت تك، بأن مشروعا في تونس قد يرى النور في غضون خمسة أعوام قادمة، ويتعلق بربط محطات إنتاج في تونس بمستهلكين في إيطاليا» فتطبيق التجربة في الصين ودول أوربا وتونس حجة واقعية دامغة تبرر مشروعية الطلب، وتعطيه مصداقية تحققية.

أما المقطع الإخباري الثالث، فينخرط في فعل التفسير من خلال تعداد المنافع المادية والاقتصادية للمشروع موضوع الأطروحة، والحجاج بالمناقب من أهم أنواع الحجج التي تستهدف استمالة الآخرين، وتعديل مواقفهم، وحملهم على اقتناء السلعة المروج لها، وهذا البعد يمكنه أن يحول هذا النص إلى الإشهار فيضحي خطابا إشهاري بدرجة عالية في الإنجاز، تقول المحاججة:

«والمشروع المعروف باسم (Desert Tec) لا يتوقف عند نقل الطاقة فحسب، بل يولي أهمية لإنتاج المياه الصالحة للشرب في شمال إفريقيا، لذلك يعد هذا المشروع منقذاً للآلاف حين يتم تخصيص جانب من هذه الطاقة لاستخراج المياه الصالحة للشرب أو تحلية مياه البحر. وتكتسي تقنية نقل الطاقة الشمسية أهمية كبرى عندما ندرك بأن ٩٠٪ من سكان المعمورة يعيشون على بعد ٣٠٠٠ كيلومتر عن الصحارى. ليست العربية فقط، بل أيضا صحراء جنوب آسيا وصحارى الولايات المتحدة الأمريكية». كما يهيمن التفسير على المقطع الإخباري الرابع، والذي يحمل الأطروحة المضادة بعرضها وإثبات حججها انطلاقا من الحجة الرقمية.

وحجة تعديد المثالب التي تعبر عنها الخسائر المادية المترتبة عن نقل الطاقة عبر المسافات البعيدة، فهناك تخوف من فقدان جزء مهم من الطاقة الكهربائية أثناء النقل، كما هو الحال في المسافات الطويلة التي تفصل بين شمال إفريقيا وأوروبا، وعند نقلها بواسطة تيار عالي التوتر – وهي التكنولوجيا المستخدمة لمثل هذه الحالة – فإن الخسارة لاتتعدى١٠٪ لمسافة ٢٠٠٠ كيلومتر. ونقل الطاقة الشمسية يقوم على تحالف عدد ضخم من الشركات والتخصصات سيما حين يتعلق الأمر بنقلها خلال مسافات طويلة، حيث تشير التوقعات لاستثمار أكثر من ٤٠٠ مليار دولار أمريكي فيه. وتشارك شركات مالية مثل دويتشي بنك، وكذلك شركات إعادة التأمين. وهذا التحالف ضروري لتحويل هذه الرؤية وهذا التصور العجيب لواقع ملموس.

فالطاقة الشمسية ليست قليلة التكاليف بالمقارنة مع ما حققته تقنية إنتاج الطاقة بقوة الرياح في السنوات الأخيرة. كما ينهض المقطع الإخباري الخامس على سلسلة من الأفعال الكلامية المختلفة في إفصاحها عن موقف المحاججة من تقرير للأمر الواقع ولفت للانتباه، والحث على العمل، ولعل هذا المقطع من خلال تداخل

الوصف فيه مع الإخبار والتنبيه يعد الأطروحة المركزية في خطاب الحث على ضرورة الاستفادة من خدمات الطاقة الشمسية باعتبارها طاقة بديلة.

وإن كانت المعلومات العلمية المتصلة بموضوع الطاقة فيما عرف به النص المعين مهمة بالرغم من انتشارها لدى عموم المتلقين إلا أن الأهم من ذلك تنبيه المؤسسة الاجتماعية إلى قيمتها، والشروع جديا في البحث عن خدماتها، ولعل المقطع التالي يؤكد هذا المنحى الحجاجي: «ويُعتبر مؤتمر ميونخ مرحلة مهمة في طريق التخطيط لتحقيق المشروع (إخبار)، وستشارك فيه جامعة الدول العربية بالإضافة إلى وزارة الطاقة المصرية (إخبار)، ولم يظهر لبلادنا الحبيبة (حس ولا رس)[٣٤] (إخبار) وإن كنا نأمل بمشاركة شمسنا اللاهبة في المؤتمر، وغيابها عنا ولو جزئيا (الله يساعدها) (طلب) لاسيما أنه سيعقد في ١٣ يوليو القادم قمة سطوعها وفضخها الرأس! (إخبار).

أما المقطع التالي فيسلك خاتمة الخروج بعد استنفاذ الطلب، وعرض الأطروحة الأساسية في سياق تهكمي غير مباشر، ينضح بتناقضات التفكير الاجتماعي الذي يرهن أولويات البناء الاقتصادي، والتقدم التكنولوجي بمعارك هامشية ووهمية، حول مواعيد الإجازات، في لوحة أشبه ما تكون بسؤال العابثين عن كبر الهلال وصغره، بدل من أن يسألوا عن أهميته في تنظيم حياة الناس، وضبط مواعيدهم الخاصة والمصيرية.

لقد وظفت المحاججة ضمير المتكلم المفرد لتؤكد للمتلقي عمق ارتباطها بما تؤمن، وبأهمية ما تؤمن به من ناحية أخرى، في مسعى حجاجي وثوقي يهدف إلى تنبيه

---

(٣٤) توظيف المثل الشعبي مهم في رهن الفكرة بالواقع، وتحقيق بعض الغايات الإبلاغية من تأثير جمالي وإيقاعي على السامع الذي يشده انهماك المثل في الصياغة الصوتية المتجانسة في حس/ رس على سبيل التضاد الذي تصطنعه لا النافية.

المحاجج، واستمالته للأطروحة الأساسية، ومن ثم التمكن من توجيه تفكيره على مهمات الأمور، ووضعها في مسارها التصوري السليم والنافع، وتوجيهها إلى سلوك التفكير الإبداعي الذي يضمن منفردا التطور الاقتصادي من جميع الجوانب: «أذكر لكم هذه المعلومات والحقائق المذهلة في الوقت الذي يتصارع فيه المعلمون وأولياء أمور الطلبة مع وزارة التربية والتعليم حول تقديم الإجازة الصيفية، باعتبار أن ولي الأمر هو من يتكلم ويطالب بعيداً عن الطالب، صاحب القضية المعني الذي نتمنى لو أنه يفكر قليلا ويتعلم كثيراً لعله يبتكر طريقة لتخفيف حرارة هذه الشمس أو الاستفادة منها وتقليص فواتير الكهرباء بدلا من نقلها لأوروبا[٣٥]، وإلى حين ينتهي الصراع، لا غابت لكم شمسا »[٣٦].

إن هذا الملفوظ في بعده الضمني يضمر بعدا توجيها مهما تحرص فيه المحاججة على ضرورة أن يعدل الناس من عادتكم التفكيرية السيئة في المستقبل الذي يحتمل بطبيعته اللايقينية الافتراضات والتكهنات انطلاقا من التجربة الحاصلة[٣٧]. إن هذا

---

(٣٥) تكشف هذه العبارة الإخبارية عن وصف واقع مرير يمثله ارتفاع أسعار الكهرباء، فحال المواطن كحال العيس يقتلها الضما و الماء فوق ظهورها محمول!!

(٣٦) إن دعوة الكاتبة إلى الإفادة من الطاقة البديلة في ضوء تناقضات التفكير الاجتماعي لا تلغي الأمل في تحقق المطلوب في غد لا تغرب شمسه، واللافت للنظر انحراف دعائها أو أمنيتها عن القاعدة النحوية التي تضمن رفع لفظة شمس على سبيل الرفع بالابتداء، فأصل الجملة لا غابت لكم شمس، وبنيتها العميقة لا + شمس + غابت + شمس + لكم، أي نفي + اسم (مبتدأ) + فعل + فاعل + محذوف خبر متعلق بالجملة الفعلية = شبه جملة (حرف جر + ضمير في محل جر)، أما تقدير النصب على الاختصار فأضنه بعيد وغير مقصود.

(٣٧) انظر: روبير مارتان، **في سبيل منطق للمعنى**، ترجمة الطيب البكوش، وصالح الماجري ومساهمة البشير الورهاني ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٤٧.

النص موجه إرشادي مهم يهدف إلى إكساب الناس على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم العمرية ملكة التفكير العقلاني البناء والإيجابي.

إن ربط العنوان بالنص رافد نصي مهم لإبراز تفاعل الخطاب مع عالمه الواقعي من جهة، وقرينة مفيدة لتأكيد سمة الانسجام (coherence) من جهة أخرى. لقد حملت عبارة العنوان في صورتها الإخبارية، وتشكلها الاسمي بعدا رمزيا يحيل إلى دلالة الانفصال، والانتقال فمثلما تهاجر الطيور عن مواطنها إلى مواطن بعيدة ومجهولة، تهاجر "الشمس الطاقة" من زمانها ومكانها وإنسانها إلى فضاء آخر وإنسان آخر ينتفع بها، ولقد كانت الهجرة دائما معلما على الاغتراب والفقدان والضياع!! .

د) وظيفة الوصف في تغيير المواقف من خلال "نجران والأخدود وما أدراك ما الأخدود"

يمثل المقطع الوصفي[٣٨] أصغر وحدة لسانية ينتهي عندها تقطيع الخطاب الوصفي، فهو بمثابة اللفظة التي تمثل الوحدة اللسانية الصغرى من حيث الدلالة في التقطيع المزدوج للسان، أما من حيث عدد الوحدات التي يتكون منها المقطع الوصفي فأقلها وحدة لسانية واحدة تمثلها صفة أو مركب جملي وصفي، وقد يستغرق المقطع صفحة أو عدة صفحات أو مجموعة من الأبيات الشعرية في نص إبداعي ما، إذ إن محاولة محاصرته كميا ستكون محاولة فاشلة، وذلك لطبيعته الاستحواذية على مفاصل الخطاب، ولبناته المختلفة، وعدم التزامه بفضاء نصي معين فقد يبدأ به النص، وقد يختم به.

---

(٣٨) انظر: عبد اللطيف محفوظ، **وظيفة الوصف في الرواية**، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٩، ص ٢٤ و٢٥.

وقد يتخلل السرد أو الحوار أو التفسير بدون سابق إنذار إلا رغبة النص في توجيه دلالاته وفق إستراتيجية قولية معينة تتغي تحقيق مقاصد المتكلم أو الكاتب[٣٩]، غير إن تحليل النص، والوقوف على بنياته الدالة يحتاج تحديدا إجرائيا للمقاطع انطلاقا من مبدأ الهيمنة ما دمنا غير قادرين على الظفر بمقطع مثالي يجرد لنا الصورة الأنموذجية للوصف على سبيل المثال.

ومن ناحية أخرى سيتشكل المقطع الوصفي[٤٠] الكلي من نظام متآلف من المقاطع الجزئية تكتمل بها هيئة الموضوع الموصوف، فتنتج بشكل متتابع، وبصورة خطية قد تنكسر وتيرتها أحيانا بملفوظات أخرى ذات توجه سردي أو حواري أو

---

(٣٩) Adam et A.Petit Jean, le texte descriptif, p 106

(٤٠) يمثل المقطع الوصفي أصغر وحدة لسانية ينتهي عنها تقطيع الخطاب الوصفي، فهو بمثاة اللفظة في التي تمثل الوحدة اللسانية الصغرى من حيث الدلالة في التقطيع المزدوج للسان، أما من حيث عدد الوحدات التي يتكون منها المقطع الوصفي فأقلها وحدة لسانية واحدة تمثلها صفة أو مركب جملي وصفي، وقد يستغرق المقطع صفحة أو عدة صفحات أو مجموعة من الأبيات الشعرية في نص إبداعي ما، إذ إن محاولة محاصرته كميا ستكون محاولة فاشلة، وذلك لطبيعته الاستحواذية على مفاصل الخطاب، ولبناته المختلفة، وعدم التزامه بفضاء نصي معين فقد يبدأ به النص، وقد يختم به، وقد يتخلل السرد أو الحوار أو التفسير بدون سابق إنذار إلا رغبة النص في توجيه دلالاته وفق إستراتيجية قولية معينة تتغي تحقيق مقاصد المتكلم أو الكاتب. غير إن تحليل النص، والوقوف على بنياته الدالة يحتاج تحديدا إجرائيا للمقاطع انطلاقا من مبدأ الهيمنة ما دمنا غير قادرين على الظفر بمقطع مثالي يجرد لنا الصورة الأنموذجية للوصف على سبيل المثال، ومن ناحية أخرى سيتشكل المقطع الوصفي الكلي من نظام متآلف من المقاطع الجزئية تكتمل بها هيئة الموضوع الموصوف، فتنتج بشكل متتابع، وبصورة خطية قد تنكسر وتيرتها أحيانا بملفوظات أخرى ذات توجه سردي أو حواري أو تعليلي.

تعليلي، هذا وتتعدد وظيفة الوصف بتعدد الموضوعات النصية، إذا يقوم الوصف برسم معالم الحياة الإنسانية في مختلف أوضاعها الثابتة والمتحركة، متجاوزا حركة الشخوص ومظاهرها الخارجية إلى عرض أشياء عالمها الخارجي، في اتصالها بعالمها النفسي، كما يلتفت الوصف إلى الطبيعة فيرصد سكناتها وتموجاتها، وعلاقتها الضمنية بواقع الإنسان نفسه، في سياق سرد الأحداث، وإنجاز عملية الحكي، وهذا ما يعرف بالسرد الوصفي(٤١).

ولعل اندساس الوصف في السرد صورة متكررة للعلاقة القائمة بينهما في صلب النص الإعلامي بخاصة، إذ تروم الكاتبة تكثيف المعاني، محاولة ربط القارئ بسحر المكان وخلابة المنظر (٤٢)، فيتحول النص ذاته إلى حديقة غناء يستمتع بظلالها الوصفية الوارفة، فيستريح من عناء ملاحقة الأحداث برهة من الزمن استعدادا لمواجهة أخرى أكثر شراسة مع تفاعلات الحكي، وتعقيدات الشخصيات المتصارعة(٤٣).

---

(٤١) يرتكز هذا النوع على كثافة الأوصاف المستعملة في سياق الصفات والأحوال من خلال تعدادها في منظومة متدرجة، تنهض على التقسيم والتصنيف والتبويب وتصوير الوقائع والشخصيات والزمان والمكان، انظر: عبد اللطيف محفوظ، **وظيفة الوصف في الرواية**، ص ٢٤ و٢٥.

(٤٢) لعلنا لا نكون مبالغين إذا زعمنا تمركز وظيفة الإيهام في النص الوصفي في بؤرة الوظائف الأدبية التي يضطلع بها في حدث التلفظ، إذ كثيرا ما يعمد الوصف إلى تجسيد المعنوي، وإضفاء هالة من الصفات التي تحيينه في الزمان والمكان ليكتسب شرعية الوجود والفعل معا توطئة لإقناع المتلقي بوجهة النظر المضمرة في الخطاب.

(٤٣) انظر: محمد ناصر العجيمي، **الخطاب الوصفي في الأدب العربي القديم**، ص ٤٦ بتصرف شديد، وانظر: Adam, la description , p40-44.

إن هـذا المسعى الإثـاري والتأثيري هـو ما سعى إلى تحقيقه نـص: "نجران والأخدود، وما أدراك ما الأخدود"(٤٤)، فقد انخرط الوصف في سياق الإشادة بالمكان، وإبراز جمالياته، ملمحا في مطلع النص إلى ضمور الصلة بين الإنسان والمكان، هذا الضمور الذي ولد نوعا من القطيعة المعرفية، والانفصال الوجداني بين ما يفترض تلقه ببعض، وهـما الذات والمكان، فينفتح النـص على القـول التـالي: «يكاد المواطن يتوارى خجلاً حين يعرف عن حضارات العالم وتاريخها ومعالمها الأثرية ومدنها أكثر مما يعـرف عن بلاده! ولست أعلم لمن أوجِّه العتب، هل لقصور الوعـي السياحي لدينا؟ أم لعدم وجود وسائل الجذب السياحية؟ أم لأسباب أخرى؟!»، فقد تضمنت هذه المقدمة علاقة الانفصال بين المواطن وواقعه من جهة، وتاريخه الثقافي والحضاري من جهة أخرى إلى درجة المفارقة فما يعرف عن مكان الآخر أكثر مما يعرف عن مكان الأنا، وفضائها الذي يعبر عن انتمائها، وخصوصيتها، وفي هذا الموقف خلل ثقافي واجتماعي يسعى الخطاب إلى تصحيحه، ولفت الأنظار إلى مساوئه، مع إبراز أسباب تلك القطيعة.

أما صلب القضية، وعمودها فتتمثل في ضرورة الاعتناء بالبعد السياحي لمدينة تاريخية، تقف معالمها شاهدة على الحضارة القديمة، التي يستمد منها الإنسان بقاءه، فمنطقة نجران بوابة بلادنا الجنوبية من المناطق التي لم تأخذ نصيبها من السياحة، رغم

---

(٤٤) تكشف بنية التكرار في العنوان عن أهمية موضوعية وتاريخية للفظة المكررة "الأخدود"، إذ يتحول اللفة بتكراريته إلى رمز تاريخي يستدعي أحداث التاريخ، المتصلة بالمكان، كما يكشف نسق الجملة الاستفهامية عن معنى التهويل والتجهيل، وإن كان معنى التهويل أقرب إلى فهم المتلقي انسجاما مع صور تهويلية أخرى بفصح عنها النسق القرآني الذي يحاول هذا النص في أكثر من مستوى محاورته (التناص القرآني)، ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ القارعة، الآية ١٠-١١.

أنّ من يدخلها يشم عبق التاريخ ورائحة العراقة، ويشاهد مهد حضارات وثقافات ضاربة في القدم، ولا يكتفي الخطاب الوصفي في هذا النص بعرض صورة المكان مجملة، بل ينغمس في تفصيل مكوناتها طلبا للتشويق، والتأثير فمنطقة نجران شاهد عيان بآثارها المادية على أحدث تاريخية مهمة.

ويوضح المقطع التالي هذه التفاصيل المكانية المجسدة للمعنى باستخدام السرد التاريخي، والذي يفيد في هذا المقام في تأكيد قيمة المكان، وتنبيه المتلقي إلى ضرورة الاحتفاء به :«لاسيما منطقة الأخدود الأثرية الواقعة في الجنوب الغربي من نجران، المتميزة بالحفر العميقة التي حفرها الملك ذو نواس أحد ملوك التبابعة حين دخل نجران بجيش كبير، محاولاً فرض الديانة اليهودية بدلاً من النصرانية ديانة أهل نجران آنذاك، وقام بتخيير الناس إمّا اعتناق ديانته اليهودية أو الحرق، ورفض الناس دينه، فقام بحفر خندق كبير وأخاديد في الأرض وأضرم النار بها. وقضى ذو نواس بالحرق على ما يزيد على عشرين ألف موحد في مدينة كاملة!».

إن تعلق الوصف مع التفسير واضح من خلال تصوير مشاهد الحادثة، بشخصياتها، وأدواتها ومكانها بدقة متناهية، تكشف عن معرفة خلفية وافية من لدن الكاتبة بالمكان الموصوف، وهي في تصويرها التفصيلي تنقل المكان مكتملا في صورته إلى مخيلة المتلقي الذي بإمكانه تلمس جزئيات المدينة شاخصة أمام بصره فكأن الموصف هو ذاته في الواقع.

لقد تغلغلت ألفاظ المكان في جسد النص مشكلة حقلا معجميا مهيمنا، انضوت تحته لفظات عديدة مثل: الأخاديد – المدينة المنكوبة – الصخور – المنازل – الرسوم الغريبة – الشوارع الضيقة – القلعة – التي تضم خمسة وعشرين مبنى – المحرقة المخلوطة برماد جلود الناس – بقايا العظام الهشة.

إن استدعاء الحقيقة التاريخية عبر تحديد الزمن وأسماء الشخصيات المحورية، والاستناد إلى الرواية الموثوقة شكل مهم من أشكال الحجاج العلمي الذي يتعلق بدوره بحجة السلطة ممثلة في رواية عبد الله بن عباس، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم. "القرى المحفوظة أربع: مكة والمدينة وإيليا ونجران"، وخبر ياقوت في معجم البلدان، إن بناء الحجج على منطق تدرجي بدأ فيه بالحجة الواقعية مستمدة قوتها من وصف الواقع العيني، ثم ثني بشهادة التاريخ المنقول من مصادر النقل المصدقة عموما عند عامة القراء، فالكاتبة توجه خطابها الواصف عن دراية بهوية القراء إلى فئة تدخل في تصديقاتها المعرفية النص الديني وتفسيراته المرجعية.

وعلى الصعيد الثقافي يوجه الخطاب إلى المكان سياحيا بحشد المزيد من الحجج التاريخية التي تنزع منزعا وثوقيا تجسده صيغة الفعل الماضي. إن النزعة الإخبارية التي تهيمن على المقطع التالي لا تقصد في الحقيقة الإشادة بجهود هيئة الآثار، وأعمالها التنقيبية فقيمة هذا الخبر تبدو ضئيلة لكونها لا تقدم لسابق معرفة القارئ معلومة جديدة. إن الغاية من هذا الفعل الإخباري توجيه المؤسسة المجتمعية بمختلف مستوياتها (سياح – مثقفون – دائرة الآثار) إلى المحافظة على كنوز التراث، وإغنائها بالبحث والعناية، وتوجيه المواطن إلى التمتع بجمالها، فترويج السياحة باعتبارها سلعة تقتنى، ومعوضا يجتبى أهم فعل طلبي يعلن عنه هذا الخطاب، وتفصح عنه الكاتبة المشهرة للمكان بأسلوب غير مباشر. كما يتجاوز الخطاب الإشهاري المعين عرض الحجج التاريخية والسلطوية شعورا منه بريبة نفسية يعانيها الزبون (طالب السياحة من المواطنين)، فيعمد إلى نشر الطمأنينة والأمان في نفسه ليقبل مرتاح الوجدان على موضوع القيمة.

وقد تأتى هذا الفعل التأثيري من تعبير الكاتبة عن مشاعرها، وموقفها النفسي من أهل نجران مما يعد إنجازا لسلسلة من الأفعال السلوكية التعبيرية التي تنقل

إحساس الإنسان وموقفه الخاص من الآخرين، فأهل نجران أهل شهامة وكرم، بل لهم ميزة خاصة في التعاون والتعاضد فيما بينهم، وعدم الاعتداء على غيرهم، وبرز ذلك إبان زيارتهم للرسول صلى الله عليه وسلم حين قال لهم: "بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا لم نكن نغلب أحداً. قال: بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم، قالها أربعاً. فقالوا عند الرابعة: كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنّا كنا نجتمع ولا نفترق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال عليه الصلاة والسلام: صدقتم".

إن هذا المقطع الوصفي الذي يتداخل فيه الحوار مع التقرير والتعليل يحقق وظيفة إقناعية، تتجلى في الاستشهاد بموقف الرسول صلى الله عليه وسلم من القوم، وإشادته بهم، والإشادة ببعض شخصيات المكان التاريخية إمعانا في الثناء والتعبير عن عاطفة الإعجاب والود، فـ: **قس بن ساعدة الإيادي** أحد مشاهير الخطباء في تاريخ الأدب العربي يتحول إلى رمز يستدعي الحقيقة التاريخية، ويستحيل معلما دلا على وجاهة المكان، وثقافة العطاء التي يزخر بها، ناهيك عن كونه وسيلة إقناعية تستهوي القارئ المثقف المعجب بالشخصية، فيحمل ذلك الإعجاب باختياره زيارة المكان، والتعرف عليه عن كثب.

كما إن الاستدلال بالقدماء من حيث كونه شكلا من أشكال الاحتجاج بالسلطة والرمز له تأثيره البالغ في نفوس المتلقين بخاصة من يؤمن منهم بصدق وإخلاص المتقدمين ونفاذ بصيرتهم، فيعدهم مصدرا من مصادر المعرفة الإنسانية(٤٥)

(٤٥) يشيد أفلاطون بقيمة القدماء أصحاب الفضل المعرفي على الإنسانية، زاعما قربهم من الحق، كما ذهب أرسطو إلى أهمية الاحتجاج بمذاهب القدماء بخاصة في المبادئ، ولعل اعتداده بمرجعية القدماء مرتبط بعلاقة رأيهم بالتجربة التي تقود إلى تعميم الحكم، انظر توسعا الطاهر وعزيز، **المناهج الفلسفية**، ص ١٢٦ و١٣٠.

إن استطراد الكاتبة في وصف تفاصيل المكان، و التعليل لأطروحتها اعتمادا على الحجة الدينية بات مظهرا خطابيا طاغيا على خاتمة النص يؤسس لعلاقة وجدانية بين من رضي الرسول على سلوكه، وبين أتباع الرسول في كل زمان، فحري بالأتباع تقليد متبوعهم في رضاه، كما يزخر المقطع في قيمته التداولية بدلالات مضمرة سكت عنها منها ارتباط التمكين بالوحدة، فهذا المعنى يمثل فعلا طلبيا دعويا مسكوتا عنه في خطاب الكاتبة.

ولعلها لا تقصد إلى وصف المكان فحسب، بل تطلب من قرائها خاصة، ومن وراءهم من أبناء الوطن التزام الوحدة الشعورية، والتكافل اقتداء واتّباعا ففي ذلك الاقتداء، وفي تلك الوحدة مكامن القوة والتقدم. هذا ولا تخفي الكاتبة وثوقيتها في مراجع علمية تمثل البعد التصديقي لمصدر المعلومة التاريخية المستدل بها على الأطروحة، من خلال إسنادها خبر الرضا إلى ما رواه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مختصر السيرة النبوية، مما يعين على تصديق الخبر، والإذعان إلى سلطته الروحية والمذهبية.

وهذا الاحتجاج بالسلطة يكشف في الحقيقة عن معرفة وافية للكاتب بجمهوره، ومصادر تصديقه للمعرفة. لقد تورط هذا الخطاب في خاتمته في فعل طلبي صريح من جنس الأفعال الإنفاذية تطلب فيه الكاتبة من المواطنين زيارة نجران، والتمتع بمناظرها السياحية من خلال قولها: "ودعوة صادقة لزيارة هذه المنطقة الغالية" رابطة فعل الزيارة بدواعي المواطنة، و إبراز مخزون الوطن الأثري والحضاري والثقافي، وإظهار مكانته ودوره في مسيرة الحضارة الإنسانية. أما الفعل التعبيري الذي تحكم في إنتاج هذا الخطاب، والذي يمكن عده مناسبة له، فقد عبر عنه الملفوظ الختامي الذي اختارته الكاتبة لتوديع المكان: "وتحية إكبار لأهل نجران من جميع مشاركي ومشاركات الحوار الوطني الثامن الذي كان له دور بارز في تنشيط السياحة

الوطنية"، فقد أنجزت الكاتبة فعل التحية، وهو فعل تعبيري سلوكي[٤٦] يكشف عن عاطفة الكاتبة وموقفها النفسي من المكان وأهله في سياق التقائها بوفد نجران الذي شارك في الحوار الوطني الثامن، والذي كان له دور في تنشيط السياحة الوطنية.

إن هذا المقطع في ارتكازه على موضوعتي الحوار الوطني والسياحة الوطنية، يوجه في الحقيقة النص المعين إلى إنجاز فعل كلامي طلبي أساس غير مباشر يمثل مشروع الكاتبة، وتصورها لمسببات الوحدة الوطنية اختيارا أمثل لتحقيق الأمن والاستقرار والحوار البنّاء بين أبناء الأمة في أطراف البلاد الواسعة. كما تقوم استراتيجية الكتابة على أسلوب التأكيد الذي يهدف إلى تثبيت المحتوى المنصوص عليه في الدعوى الرئيسة.

وبالرغم من كونه لا يضيف معطيات معرفية جديدة لتوقعات المتلقي إلا أن تأكيد المعاني، وتقريرها صراحة أو إشارة أو تلخيصا يسهم في تحقيق الانسجام الداخلي بين قضايا النص من ناحية وعالمه الخارجي الذي يتشكل فيه ومن خلاله[٤٧] من ناحية أخرى، فقد عمدت الكاتبة في نصها "تقدير الذات، ثابت أم متغير" إلى إدماج معلومات لا تضيف في الحقيقة جديدا للفكرة الأساس "تقدير الذات" بوصفها موضوعا للخطاب، بل وظيفتها الأساسية تأكيد المعنى المقرر في جملة الاستهلال التي بدأت بها "يعمد البعض لتعزيز الثقة بأنفسهم للميل إلى توفير الإمكانات المادية،

---

(٤٦) J.R.Searle, les actes du langage ,ed Herman, Paris, 1972, p153-154

(٤٧) انظر: بروان ويول، **تحليل الخطاب**، ص ١٢٢، وانظر أيضا عزة الشبل، **علم لغة النص، النظرية والتطبيق**، ص١٩٤، ويمكن أن نمثل لقرائن تأكيد المحتوى في النصوص النثرية الوصفية أو التفسيرية بـ: على نحو مشابه – أريد تأكيد كذا – النقطة المهمة – بالإضافة إلى توظيف تقنيات الكتابة المتصلة بالخط كتغميقه أو إمالته بخاصة في الكتابة بالراقن أو الحاسوب.

سـواء بالحرص على الحصول على منصب أو النفوذ الشخصي أو المـادي أو بطريقة الملبس و أسلوب الحديث، بينما لا يمكن أن توجد الثقة بالنفس، وبالتالي النجاح ما لم يوجد الشعور بتقدير الذات"، فجملتا: توجد الثقة بالنفس والشعور بتقدير الذات في الحقيقة يسهمان فـي تأكيد محتوى الأطروحة الأساسية التي انفتح عليها النـص على سبيل تلخيص العبارة الاستهلالية.

كما تقوم الجملة الخاتمة "فالاضطرابات الحياتية والمشكلات المالية تشكلان مزيجا مرا، وهراوة قاسية لتحطيم سلالم تقدير الذات"، من خلال علاقة العكس التي تربطها بجملة الاستهلال بوظيفة تلخيص أسباب عـدم تقدير الذات التي توسّع النص في عرضها في المقطع التفسيري التعليلي التالي: «وبالمقابل فإن الذكريات التعيسة والتجارب البائسة المواكبة للقمع والاستبداد كفيلة باقتلاع الثقة بالنفس من جذورها أو حصدها إن وجدت، وهو ما يسبب انخفاض مستوى تقدير الذات والنظرة الدونية للنفس والخـوف من المستقبل. ولا يكاد الأمـر يتوقف عند الطفولة المبكرة؛ بل إن مرحلة الطفولة المتأخرة أو بداية مرحلة الشباب هي إما استمرار لرفع معدلات تقديـر الـذات أو الإجهاز عليها بالضربة القاضية. فتتابع خبراتنا الإيجـابية حتى سنـوات البلوغ تضيف درجات مرتفعة لمستويات تقدير الذات، وإحلال التجارب السلبية مكانها يجعل مستوى تقدير الذات يتقهقر وينخفض. ولا تعجب حين ترى أحد زملاء الدراسة وقد تردى مستوى تقديره لذاته برغم تميزه أثناء الطفولة أو الشباب. وقد تعذره حين تعلم أنه تعرض لتحول في مسار أحداث حياته كرحيل شخص عزيـز، أو بسبب تعرضه لحادث أو إصابته بمرض عضال، أو خسارة فـي تجارته أو فقده لوظيفته. فالاضطرابات الحياتية والمشكلات المالية تشكلان مزيجا مرًّا، وهراوة قاسية لتحطيم سلالم تقدير الذات».

هـ) السلم الحجاجي في نص: "خليج عربي أم إسلامي"

يقوم النص المعين في بنيته الموضوعية على حوار ضمني بين طرفين يدعو أحدهما إلى وصف الخليج بكونه عربيا، بينما يؤكد الثاني فارسيته، حاشدين على لسان النص منظومة من الحجج والأدلة التي تدعم كلا الأطروحتين، فبينما يعتمد المحاجج العربي على سلمية حجاجية تغلب فيها الحجة المادية في طبيعتها الجغرافية، والتي تؤكد عن طريق وصف المكان وحدوده المساحية تغليب تسميته العربية، ويظهر هذا التوجه من خلال المقطع الوصفي الحجاجي التالي: "يبلغ المجموع العام لطول الساحل على الخليج نحو ٣٣٠٠ كم، حصة إيران منها نحو الثلث. ويسكن العرب على ضفتي الخليج سواء في القسم الغربي (عمان والإمارات والبحرين وقطر والسعودية والكويت والعراق) أو من الشرق في (إقليم عربستان) في إيران"، إذ يظهر هذا المقطع أحقية تسميته بالخليج العربي، لطول مساحته العربية بأربعة دول عربية أمام دولة فارسية واحدة، هي إيران، يمثل شريطها الساحلي الثلث من الطول الأجمالي، وهنا يتداخل الاستدلال الرياضي المعتمد على الإحصاء مع حجة تقرير الواقع.

كما ينفتح حجاج الطرف الأول (الطرف العربي) على الاستدلال بالقدماء، وقد عرف هذا النوع من الحجاج بسلطة المتقدمين في الفلسفة الأرسطية، واتجاهات الفلسفة التقليدية بخاصة دعوى قرب المتقدمين إلى المعرفة والحقيقة[٤٨]، كما يتم الاستدلال بالمعاصرين ورؤاهم وتجاربهم عند فئة أخرى بحجة تطور العلم، واتساع آفاق البحث الحديثة فغدت النظريات والتجارب ومستخلصاتها بمثابة أدلة

(٤٨) انظر: الطاهر وعزيز، **المناهج الفلسفية**، ١٢٦.

مادية على صدق الرأي المعين، تتخذ أمثلة ونماذج تربطها علاقة ضمنية بالموضوع المحاجج عنه[٤٩].

كما يعتمد النص الحجاجي نوعا آخر من الحجج يعرف بحجة العموم، وهي حجة تكتسب كفاءتها الإقناعية من المتعارف بين الناس، أو لنقل إجماع عموم الناس على صلاح فكرة ما، فقد استندت المحاجة إلى تعدد تسميات الخليج من طرف جهات عالمية عديدة، يضمر تعدد تسميتها بساطة الأمر الذي لا يؤدي إلى سلوك موقف أو التعبير عنه بصورة سلبية، ولعل المحاجة تعتمد موقفا علميا لم تفصح عنه تعبر عنه مقولة "لا مشاحة في الأسماء، مادام المضمون واحدا"، ويعرض المقطع الإخباري التالي هذه الحجة بقول الكاتبة: "رغم أن كثيرا من الممرات المائية العالمية والبحار والمحيطات تطلق عليها أسماء مختلفة بحسب موقعها، وهو أمر غير مستغرب حيث يطلق البريطانيون اسم (قناة إنجلترا) على الممر المائي بين إنجلترا وفرنسا، في حين يستخدم الفرنسيون اسم (بحر المانش) على نفس الممر"، ناهيك عما يوفره هذا المقطع من تمثيل بحالات مشابهة أخرى يمكن أن يستخلص منها الحكم نفسه على سبيل القياس بالمثل[٥٠].

---

(٤٩) يقوم الاستدلال العلمي بخاصة في الرياضيات على التمثيل الذي يوجه الناظر إلى اكتشاف عناصر التشابه والاختلاف، فهو شديد الارتباط بالعملية الذهنية نفسها، لاندراجه في اللغة، ومن ثم صعب فصله عن الابداع اللغوي الأدبي الإعلامي، انظر توسعا وعزيز، الطاهر، **المناهج الفلسفية**، ص ٥٧و٥٩، وانظر أيضا علي سامي، النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧، ١/ ٤١ والجابري، محمد عابد، **نحن والتراث**، ص ٥٠ وما بعدها.

(٥٠) البرهان بالمثال أو القياس الفقهي ورد الغائب إلى الشاهد عند المتكلمين من صور الاستدلال الكثيرة التي عني بتطبيقها المتقدمون من فلاسفة إغريق وعرب، على وعي منا بوجود فروق

كما ينطوي نقد التسميتين ضمنيا عن اعتداد المحاججة من غير وعي بالإحراج المنطقي الذي يعني وضع رأين متعارضين، لكل منهما حجته في الجواب عن مسألة واحدة معينة، أو لنقل التشكيك في الأفكار المتضادة من خلال التسوية بينها(٥١).

إن إحساس المحاججة بوجود اعتراضات عديدة من طرفي الدعوى، وعدم إذعانهما للحجة العقلية أو المادية، دفعها إلى اعتماد حجة عليا تتمتع بقوة إنجازية فعالة على المتلقين جميعا، تسترفد نجاعتها من مرجعية المشترك، التي يمثلها الدين الإسلامي بكونه أهم عامل توحيد للطرفين اللذين يزعمان الإنتماء إليه .لقد كان الفعل القولي الطلبي صريحا للغاية من خلال الدعوة إلى الاحتكام إلى المشروعية الإسلامية العليا التي تستوعب كل الاختلافات الاسمية، إذ ظهر عدم الاقتناع من خلال إنجاز سلسلة من الأفعال التعبيرية والسلوكية المعبرة عن الموقف السلبي. ويبين المقطع الطلبي التالي دعوى المحاججة المبثوثة في نتيجة النص: "فلنجعل الخليج الإسلامي يقربنا، ويوحد كلمتنا لنهزم عدونا، ونصعد فوق خلافاتنا وننبذ تمايزنا بالألقاب والعنصرية وننتصر على أنانيتنا، ونغير من أنفسنا لأنها أهم من المسميات القابلة للتغيير"، هذه الدعوى التي حاولت المحاججة في مطلع المقطع إثباتها، والحث عليها بصيغة الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر، والمنسوب لضمير جمع المتكلمين من خلال

نظرية وإجرائية حاول بعض المفكرين التغاضي عنها مكتفيين بالشبه العام، انظر توسعا: النشار، علي سامي، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ص٤١.

(٥١) انظر: الطاهر وعزيز، **المناهج الفلسفية**، ص ٨٤، جدير بالذكر إن المسك الجدلي الأرسطي يعتمد الإحراج من حيث كونه استدلالا يوصل إلى نتيجة واحدة، انظر أرسطو، الطوبيقا، المقالة السادسة، ١٤٥ ب، ٢و٢٠ و١٦٢ أ، ١٧.

تفنيد ضدها، تفنيدا غير صريح في الظاهر، ولعلّ هذا المسلك الحجاجي يقترب شيئا فشيئا من قياس الخلف الذي يعتمده المناطقة بعامة، وعلماء الرياضيات بخاصة[٥٢].

و) الجمع بين الحجة العلمية والحجة الدينية (الحجاج بالسلطة)

تفتتح الكاتبة هذا النص بالتأليف بين نوعين من الحجج ينتمي إلى إطارين حجاجيين مختلفين، فبينما تنتمي الحجة العلمية المعتمدة على الحقيقة العلمية، والملاحظة المباشرة للظواهر الجغرافية إلى مجال المعرفة الحسية، تنتمي الحجة الدينية إلى مجال المعرفة النقلية، على ما يدور في الثقافة الفلسفية من جدل بين التجربة الحسية والمعرفة النقلية المتسمة بالاستسلام لسلطة صاحب المعرفة، أو منتجها، ويظهر هذا التأليف في المقطع الاستهلالي التالي: *برغم حالة الفزع التي تنتاب بعض علماء البيئة حول حالات ذوبان الجليد واحتمالية اختفاء دول وقارات؛ حيث كشفت بيانات الأقمار الصناعية مؤخرا انحسارا كبيرا للجليد في جوانب القطب الشمالي وبالتحديد في مناطق سيبيريا وألاسكا، وسجلت رقماً قياسياً ليصبح الأشد على الإطلاق؛ إلا أن هذا الفزع قد يفسر حديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- بقوله: (لن تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا)*.

ثم تسترسل الكاتبة في سياق عرض وصفها المكاني في تعداد الحجج العلمية التي تؤكد صحة دعواها، من دخول المنطقة المحددة جغرافيا في تغير مناخي مهم خلال الفترات القادمة، مما يدفع إلى ضرورة اتخاذ الحيطة، وبناء خطط تنموية

---

(٥٢) ينسب البرهان بالخلف إلى **زينون الأيلي** الذي اقتبسه من **بارمنديس** الذي اعتمد في الرهان على صحة دعواه بتفنيد ضدها، صورة للبرهان غير المباشر، وممن استخدم هذا النوع من البرهان الكندي الفيلسوف، انظر وعزيز، الطاهر، المناهج الفلسفية، ص ١٢٣.

مستقبلية، تلافيا لحدوث صدامات خطيرة، يحركها صدام الإنسان مع البيئة، ويمكن ترتيب هذه الحجج كما يلي:

١- **التحديد الجغرافي**: "وأرض العرب المقصودة هي شبه الجزيرة العربية الواقعة ضمن حزام الصحراء الممتد بين خطي عرض ١٥° ،٣٠° شمالي خط الاستواء وجنوبه".

٢- **الاستدلال المثيل**: "سيصبح مناخ المملكة استوائيا رطبا مثل ماليزيا وتايلند مما ينبئ عن ظهور مخلوقات ونباتات أخرى قادرة على التكيف المناخي الجديد !!"

٣- **التقارير العلمية (حجاج التجربة والحس)**: "وأظهرت الصور الفضائية التي رصدت الأقطاب أن درجات حرارة الهواء تسجل ارتفاعا ملحوظا منذ بداية الألفية الميلادية الثانية، وبالتالي فإن ذوبان الجليد البحري في القطب الشمالي يتم بشكل أسرع من المتوقع".

٤- **حجة التخويف من المخاطر (التعليل ببناء النتيجة على أسبابها)** "بالتالي فإن ذوبان الجليد البحري في القطب الشمالي يتم بشكل أسرع من المتوقع. ويؤكد الباحثون في شؤون البيئة أن ذوبان الجليد الموسمي في القطب الشمالي قد انتهى، ووصل حجمه لأدنى مستوى لهذا العام في ١٩ سبتمبر ٢٠١٠م وهو أدنى قياس للقطب على الإطلاق".

٥- **إدماج التعجب في الإخبار**: سعى المقطع الإخباري التالي إلى شد انتباه المتلقي باستخدام صيغة التعجب لإثارة اهتمامه أولا، ثم مواجهته بالخبر موثقا زمانيا، والذي يمثل نتيجة خطيرة للظاهرة الموصوفة، كما تعمدت الكاتبة تخصيص الخبر بتسمية أطرافه: روسيا والنرويج لتأكيد صحة الخبر: "والعجيب أن الممر الشمالي الغربي والمسار الشمالي منه كانا مفتوحين أمام الملاحة خلال سبتمبر الماضي، حيث اقتربت إحدى السفن الروسية والنرويجية من الدوران حول القطب".

٦- **حجة العموم**: اعتمد النص حجة العموم من حيث إحالتها على فهم جامع ومشترك بين عدد كبير من الناس، وهذه الحجة أشبه ما تكون بالاجماع الذي يرجع صحة المذهب عند معتمديه(٥٣). وقد اعتمد النص هذه الحجة في قول الكاتبة" والمعروف أن الغطاء الجليدي يحافظ على التوازن المناخي"، فالمعروف المحتج به ليس معروفا عند المحاجج بل هو معروف عند عموم المخاطبين.

٧- **الحجاج بالسلطة**: كما تستأنف المحاجة مرة أخرى حشدها للحجج العلمية المستمدة رأسا من الحجاج بسلطة أهل العلم المختصين، ويبين المقطع التالي ذلك: ويعتقد الباحثون أن المنظم للمناخ هي درجات الحرارة. وحسب مصادر وكالة نوا الأمريكية العالمية فقد سجل شمال غرب المحيط الهادي خلال شهر أغسطس نصف درجة فوق المعتاد ودرجة واحدة فوق المعتاد على اليابسة.

٨- **الحجة الواقعية**: تعتمد المحاجة أيضا في سبيل دعم الأطروحة المعينة الحجة الواقعية التي تؤطر الموضوع، وتحيله على عالم الحقيقة المادية، فلا يبقى مجال للشك، إذ ربطت بين ارتفاع درجة الحرارة في المملكة بهذا التغير المناخي المريع في العالم، مما يكس واقعية الموضوع، وجديته وحيويته من جهة أخرى، فقد سجلت في المملكة هذا العام ٢٠١٠م درجات حرارة بأرقام قياسية لم يعهدها السكان منذ زمن طويل.

---

(٥٣) يقرر ابن حزم إمكان اجتماع الناس على الخطأ، وظاهر ذلك في أحوال الأمم والمجتمعات قديما وحديثا كثير، ولعل شيوع فكرة خاطئة بين عامة الناس وخاصتهم، فيما تحمله وسائل الإعلام المختلفة اليوم يؤكد وجاهة هذا الرأي، ثم يبين التطور العلمي خطأ ذلك الإجماع وأوهامه، ونظريا يمكن القول أن انعقاد الإجماع التام غير محقق واقعيا، فحاله مثل حال الاستقراء الذي لا يكون إلا ناقصا، ولكنه قول بالغالب والعموم ليس إلا.

٩- الحجة التصديقية: تمارس الحجة التصديقية التي تستمد قوتها من سلطة الأثر تأثيرا نفسيا على المتلقي الذي يسلم بما تورده الآثار من نبوات يدخل التصديق بها في دائرة إيمان الفرد المسلم، الذي يختار الإذعان لسلطة المقدس في صحة معرفته، وعلامة هـذا الإذعان الانتظار الذي يشي به الملفوظ التالي: "..والواقـع أننا ونحن ننتظر عودة جزيرة العرب مروجا وأنهارا".

١٠- استشراف المستقبل، وبلاغة التخويف والنفي المطلق: تعتمد المحاججة في هذا السياق أسلوب التخويف، من خلال تعداد المخاطر القادمة التي تستشرفها بعيون العلم، وآخر مكتشفاته، وقرائن هذا التخويف تتربع على المقطع التالي، الذي توزعت فيه عبر مسافات متباينة أحيانا، ومتتابعة أحيانا أخرى وحدات دالة تشترك في إثارة القلق، وتهويل الأمر مثل: زادت حدته - اتساع رقعة التصحر - أنحاء كثيرة - القطع الجائر - الاستخدام المفرط - ازدياد تقلبات الطقس - العالم أجمع - انقراض - غرق- توسع حار - نفـوق الأسماك - هـروب الحيوانات - الهلع - تلوث البحار - المفاجئات - القلق - التوتر-، فكل هذه الوحدات تنتمي إلى حقل دلالي واحد هو حقل المجاوزة، كما اعتمدت المحاججة تأكـيدا لأطروحتها النـفي المطـلق المتبـوع بالإضراب إمعانا في تأكيد الخطر، وأداته "لن" في أكثر من جملة، مثل: "ولن يتوقف الأمر عند بلادنا بل..."، و"ولن يقتصر الأثر على المناخ بل...".

هذا ويبلغ التخويف مداه، من حيث كونه بلاغة حجاجية، تستثمره المحاججة في سياق إستراتيجيتها الإقناعية، معبرا عن أزمة مستقبلية خطيرة تهدد العالم والمنطقة، بقولها: فإننا نقرأ بهلع بأن حروبا قادمة ستقع بين الدول بسبب التكالب على مصادر المياه. كما تعبر الخاتمة مرة ثانية، وعبر دلالات الحيرة والقلق المتلبسة ببلاغة الاستفهام عن فـعل التخويف من المستقبل الحامل للمفاجئات، من خـلال القول التـالي: فهل

نحن مقبلون على تصحر قاسٍ مخيف؟ أم سيول مدمرة لا تستوعبها المجاري وأنابيب التصريف؟!.

فوحدات التصحر والقساوة والخوف والسيول والدمار أهم القرائن الدالة على فعل التخويف، الذي هيمن عن مقاطع النص، فغدا قطب الرحى، وبنية النص الكبرى في المستوى الدلالي، ناهيك عن كونه في اقترانه بفعل التحذير المضمر فعلا إنجازيا رئيسا يؤهل النص المعين لكي ينتج خطابا طلبيا تعليليا يتماهى مع أطروحة الإصلاح التي أقامت عليها المحاججة خطابها الإعلامي.

ز) القيمة الحجاجية لبنية التكرار النصي

تتعدد التعريفات اللغوية والاصطلاحية لظاهرة التكرار بوصفه أداة أسلوبية مهمة تنهض عليها التشكلات اللسانية والدلالية في النصوص الإبداعية بصورة خاصة، غير إن هذه التعددية الاصطلاحية في مظهرها الصياغي لا تخفي معنى الإعادة (Repetition) الذي يشكل قاسما معنميا مشتركا بين مجموع التعريفات القديمة والحديثة[٥٤].

إن التكرار في جوهره نوع من التأكيد أو التكريس للبنية اللسانية التي يصدر عنها التمثيل الدلالي للأفكار[٥٥]، وفي صعيد الصياغة النسقية للتعابير اللغوية والنصية تقوم إعادة أجزاء من القول أو إعادته كلّه لتحقيق غايات إبلاغية مختلفة مثل التوكيد

---

(٥٤) التكرار مشتق من كرر: "يقال كرر الشيء وكركره أعاده مرة بعد مرة، وكرّرت عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه، انظر ابن منظور (جمال الدين محمد - ٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤، مادة كرر.

(٥٥) انظر: حسن ناظم، **البنى الأسلوبية، دراسة في أنشودة المطر للسياب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، سنة ٢٠٠٢، ص ١٤٧.

والتوضيح والحث والنهي، مما يجعل منه أداة كلامية لإنجاز الأفعال اللغوية المختلفة باختلاف مقاصد المتكلمين وأغراض التخاطب.

كما يقوم التكرار بدور مهم في إضفاء مسحة بديعية على البنية الظاهرة بتشكله عبر صيغ تحسينية لها تأثيرها النفسي على المتلقي، كما يتفرع التكرار بحسب ارتباطه بأنواع الوحدات اللسانية والعلاقات النسقية بينها إلى فروع أساسة، لعل أهمها؛ تكرار اللفظة الواحدة، وتكرار اللازمة، والتكرار البديعي، كما يمكن التمييز بين التكرار اللفظي الشكلي والتكرار الدلالي الذي يتجسد نصيا عبر العلاقات الدلالية(٥٦).

ولعل من أهم أشكال التكرار التي تقوم بوظيفة الاتساق النصي التضام الذي يتشكل بورود زوج من الوحدات المعجمية بالفعل أو القوة لارتباطهما بعلاقة دلالية قد تكون تضادا حادا أو عكسيا أو اتجاهيا(٥٧)، وربما تحدد بفضل علاقة التنافر المؤسس على النفي أو الرتبة أو الزمن(٥٨).

كما يقوم التكرار النصي بدور بارز في تثبيت ركائز الترابط التي يتأسس عليها الخطاب المعين، بالإضافة إلى أدوار بنوية وتداولية أخرى ينهض بها مثل مساهمته في تأكيد قيمة الأشياء في حياة الإنسان، وقد استثمرت رقية سليمان هذه الأشكال التكرارية لبناء الدلالة النصية، وتحقيق الوحدة البنوية للملفوظ الإعلامي مرات عديدة، وعبر أشكال مختلفة تبتغي المحافظة على ديمومة الموضوع، ونمو أفكاره، وتشعيبها خدمة للأطروحة المعبر عنها في مقدمة النص أو عنوانه أو خاتمته، ففي نص "الإشاعة، ظاهرة أم ثقافة؟"، يظهر التكرار بأنواعه التي حددها النحاة واللسانيون

---

(٥٦) انظر: جميل عبد المجيد، **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية**، ص ٧٩ وما بعدها.

(٥٧) انظر: محمد خطابي، **لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص ٢٥.

(٥٨) انظر: أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص١٠١ وما بعدها.

مثل التكرار التام، والتكرار الجزئي الذي غطى مساحة معتبرة، وعلى مسافات متباينة ليشد انتباه القارئ لوحدة الموضوعة التي ينبني عليها الخطاب، ألا وهي موضوعة (Teme) الإشاعة، إذ تكررت هذه الوحدة:

- التكرار التام متعدد المرجع: الخبر-الخبر اليقين.

- التكرار الجزئي: الخبر-الأخبار.

وفي سياق تأكيد العلاقة الحوارية بين النص والمتلقي لغاية تحقيق الفهم والتأويل يقرر "إدموند هوسرل" تعلق الفهم بإدراك مقاصد المتكلم (المبدع) عبر تمثله أو لنقل تقمص دوره اللغوي مجاوزا كونه مجرد متلفظ بسلسلة صوتية دالة على معنى ما[٥٩]. لذلك فإن محاورة النص ومحاولة تفهم مقاصد المتكلم عملية جدلية حجاجية ضمنية بين المتلقي والنص بالدرجة الأولى، وكلما حصّل معطى معنوي تشكل في سياق هذه العلاقة أفق (orison) ما يلبث أن يزول ليترك مكانه لأفق جديد، وقراءة جديدة هي أشبه ما تكون باللعبة طرفاها المبدع والمتلقي (القارئ)، والوسيط المنظم لها هو اللغة بنظامها ودلالاتها[٦٠].

كما إن البحث الحثيث عن المعنى يقوم على التساؤل الجدلي بين القارئ (المتلقي) والنص، وعملية تفسير النص عملية تفاعلية خلاقة ينفتح فيها أفق القارئ على تجارب عديدة سابقة ومفترضة على الإمكان، وفي هذا السياق يمكن القول أن القراءة اللسانية النصية لمظاهر الانسجام النصي لم تعد مجرد سياق إضافي يلحق بالنص المعين، فنصيته مشروطة بتحققها، منها، وبها وفيها.

---

(٥٩) سبيلا وبنعبد العالي، **اللغة**، سلسلة دفاتر فلسفية، ص٥٩. وانظر محمد الأمين الطلبة، **الحجاج في البلاغة**، ص٧٣.

(٦٠) انظر: نصر حامد أبو زيد، **إشكاليات القراءة**، ص٤١.

ففعل القراءة متحقق إذن في النص بوصفه خطاب حـدث أو واقعة، يقوم المتلقي بتجليتها في ضوء الربط بين عالمي النص والواقع[٦١]، مما يستلزم قيام الانسجام النصي[٦٢] على ترابط داخلي للأفكار والمضامين التي تحملها العبارات، بما تشي به من علاقات منطقية ودلالية أساسية، ذلك إن الانسجام مفهوم محوري في لسانيات النص ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي ينجزه المتلقي في إطار معرفي معين يحقق رؤية القارئ المتلقي للعالم، أو الفضاء الذي أنتج فيه النص[٦٣]، فيقوم في ضوء معرفته بالعالم بتأويل الملفوظات المنجزة للخطاب، وتفسيرها في الاتجاه الذي يضمن تماسك النص، وإنجازه لأفعال الكلام الرئيسة التي يتوخى المخاطب (الناص) تبليغيها في سياق العملية التواصلية.

إن وصف النص بالانسجام لا يتصل بالمعطيات اللسانية الداخلية التي تتشكل منها البنية الداخلية العميقة بقدر ما ترتكز على دور المتلقي (القارئ)، وتفاعله الإيجابي مـع سلسلة الملفوظات والقضايا المعـبر عنها في حـدث الكـلام، وبمعنى أبسط إن انخراط المتلقي في لعبة التفاعل النصي، والتأويل في ضوء توقعات الدلالة، ورؤية

---

(٦١) انظر: نصر حامد أبو زيد، **النص، السلطة، الحقيقة**، ص ١١٠.

(٦٢) ليس النص متوالية لفظية أو جملية فقط بل هو سلسلة منتظمة من المعاني والقضايا المتعالقة بعلاقات دلالية، تضمن تحقيق معناها الكلي انطلاقا من قصدية معينة ترهنها ظروف السياق وملابسات التواصل الذاتية والاجتماعية، ويتحدد النص في الحقيقة من خلال علاقته باللغة التي يتموقع فيها عبر لعبة إعادة التوزيع والتشكل الداخلي للعناصر اللغوية تفكيكا وبناء مما يجعله صالحا للمعالجة منطقيا ورياضيا على حد تعبير صلاح فضل، انظر **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص ٢٢٩.

(٦٣) انظر: صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص ٢٦١.

العالم والمعرفة الخلفية، والكفاءة التفسيرية تكفل تقبل النص من حيث هو بنية لغوية منسجمة ذات دلالة عامة ودلالات هامشية حافة يؤشر لها النص بقرائن سياقية حالية ولغوية ،اعتمادا على رؤية المنشئ، ورغباته الظاهرة والمستترة، والتي تشكل في الحقيقة قصده الذي يوجه الخطاب إلى إنتاج المعنى المراد(٦٤).

إن القراءة لم تعد مجرد سياق إضافي خارجي يضاف إلى النص المعين، إذ لا تتحقق نصيته إلا بها وفيها، ففعل القراءة إذا متحقق في النص بوصفه حدثا أو واقعة(٦٥).

وفي هذا السياق يلح فان ديك على ضرورة العناية بوصف، وتفسير الانسجام الضمني (ImplicitCoherence) الذي يتجاوز العلاقة الصريحة الرابطة بين أجزاء الخطاب، ولعل كثيرا من الملفوظات التي تعج بأدوات الربط الشكلي تقف شاهدا على عدم كفاءتها في تحقيق نصية الملفوظات، فما يكون به الملفوظ نصا على حد وصف الأزهر الزناد ليس حروف عطف أو مصاحبات معجمية أو تكرارا لأنساق معينة، بل تعلق فكري بين عوالم معرفية متعددة في ذهن المنشئ و المتلقي وأطروحة الملفوظ الأساسية، فموضع الارتكاز وتقاطع الفكرة من حدث الإنشاء مع شبيهتها في حدث

---

(٦٤) يقرر علماء تحليل الخطاب أن النص بنية لغوية متداخلة التكوين، وتفسيرها مؤطر بمعارف عدة بعضها لغوي والآخر غير ذلك فالقارئ النموذجي متسلح بأدوات وتصورات كلية ذات منزع نفساني واجتماعي وثقافي وإيديولوجي ومعرفي و تداولي يسمح بقراءة الفعل الصريح والمضمر، والذي ينجز بالقول. انظر توسعا صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢٦٢ وأيضا عزة الشبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص١٨٥ نقلا عن

.M.Charolles, coherence as a principle in the interpretation of discourse,pp71-75

(٦٥) انظر: نصر حامد أبوزيد، **النص، السلطة، الحقيقة**، ص ١١٠.

التلقي والإدراك هو الفضاء المناسب لتحقق حدث الانسجام في زعمنا. لقد أشار فان ديك في جل دراساته النصية إلى ارتباط الانسجام النصي بالفكرة العامة التي يبنيها المتلقي في ذهنه حول النص الذي يتفاعل معه في سياق التواصل(٦٦)، مستصفيا مصطلحا حديثا للتعبير عن الفكرة العامة في ضوء المنظور البنوي الذي يؤطر الفلسفة العامة للسانيات النصية ونحو الخطاب هو مصطلح البنية العليا الذي يتضمن الدلالة على الشكل الكلي للخطاب الحامل للموضوعة الرئيسية.

ولعل أهم ما يرتكز عليه البحث في انسجام المدونة المختارة وصف كيفية الربط بين القضايا المعبر عنها (٦٧)، والتي حصرها بعض الدارسين في علاقتي الإضافة والسببية(٦٨). وفي هذا السياق يقرر فان ديك أهمية المعرفة بالعالم بوصفها وسيلة إدراك المتلقي للمفهوم الجامع بين القضايا في إحالتها الخارجية على عالم المادة، يقول: ترتبط

---

(٦٦) انظر: فان ديك، **علم النص**، ص ٤٩ وما بعدها.

(٦٧) غني عن البيان أن اللسانيات النصية في تعريفها للنص بأنه تتابع قضوي مترابط تنطلق من مفهوم القضية عند المناطقة من حيث كونها بنية لغوية معبرة عن الحد الأدنى للمعنى المحكوم به على ذات ما، وتتكون القضية في العرف المنطقي من موضوع متحدث عنه ومحمول خبر متحدث به، يمكن أن يحكم على القضية بالصدق أو الكذب تبعا لتحققها في الواقع المادي أما الفلسفة التحليلية فترى أن القضية إما أن تكون بناء على سلوك التحقق موفقة ومقبولة أو غير موفقة غير مقبولة.

(٦٨) تقوم علاقة الإضافة على ضم وحدة قضوية إلى أخرى بالعطف عن طريق الواو وعلاقة المضاف بالمضاف إليه بما بينهما من مناسبة معنوية معقولة، أو العطف الفاصل بـ أو، والعطف المقابل بـ لكن، أما علاقة السببية فقد تتحقق بالسبب ونتيجته، أو التبرير أو الوسيلة أو التتابع والغرض والشرط والمسلمة، انظر عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص ١٨٧ نقلا عن Jean Renkema , discourse stadies,p53.

قضيتان بعضهما ببعض حين ترتبط معانيهما الإحالية[٦٩]، فتكون الوقائع المعبرة عنها مترابطة في العالم الخارجي بعلية معينة أو قانون طبيعي يمكن وصفه، أو إدراك أثره[٧٠].

كما يقوم وصف مظاهر الانسجام النصي في المدونة المختارة على تعيين مكونات السياق العام الذي يؤطر النصوص من ناحية الزمان والمكان وظروف الكاتبة ومحيطها الثقافي والاجتماعي، ناهيك عن تغير الدلالة اللفظية من حيث كونها نتاجا للاستخدام السياقي، فالألفاظ في هذا المستوى لا تكتسب قيمها اللسانية إلا من خلال اختلافها عن سابقاتها ولاحقاتها وفق مبدأ السمة الخلافية الذي استنته اللسانيات البنوية[٧١].

وإذا أنعمنا النظر في المكونات السياقية يمكن القول بأن مسرح الكتابة الصحافية في إطار جريدة الجزيرة اليومية يمثل البيئة النصية التي تنجز فيها الكتابة، أما الزمان

---

(٦٩) فان ديك، **علم النص**، ص ٥٣.

(٧٠) كما يمكن التمييز بين علاقات اتصالية تعبر عنها أدوات مثل الواو العاطفة ووحدة أيضا، وما يفيد التماثل مثل مثلا أو بالمثل أو على نحو مشابه، أو ما دل على استنتاج مثل ومن ثم ولهذا، أو ما دل على التقرير والاختصار مثل بمعنى أن أو باختصار أو زبدة القول، كما تفيد لفظتي: التالي وبعد دلالة التتابع الفكري. أما علاقة الانفصال فقد يعبر عنها بأو ولفظة الآخر، كما تفيد عبارة من ناحية أخرى وعلى العكس من ذلك دلالة التقابل، وتدل لفظة على الرغم من وما زال على التضمين الممتنع وتدل إلا وما يقوم مقامها على دلالة الاستثناء التي هي أيضا تضمن بالسلب، ينظر عرض هذه العلاقات في عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص ١٨٩.

(٧١) سوسير، **دروس في الألسنية العامة**، ص ١٨٦. يقول **ولتر أونج**: «إن الكلمة في موطنها الشفاهي تمثل جزءا من حاضر وجودي حقيقي يضم أشخاصا حقيقيين في لحظة زمنية بعينها في موقف حقيقي يتضمن دائما ما يتجاوز مجرد الكلمات، أما الكلمة في النص المكتوب فتقف بذاتها، وكاتبها يكون أثناء إنتاجه لها منفردا، ولذلك تتمتع الكتابة بمركزية الأنا» انظر الشفاهية والكتابية، ترجمة حسن البنا عز الدين، ص ١٩٢.

والمكان فواضح انتماء المدونة إلى فترة محصورة بين، تم إنجازها في مكان غير محدد بدقة فقد يكون مدينة الرياض، والبيت الخاص، ويتمثل العالم المتحدث عنه في واقع المجتمع بمختلف طبقاته، ومؤسساته الاجتماعية والثقافية(٧٢). كما تمثل جملة النصوص المنجزة في الموضوعات نفسها، والتي تنشر في الجريدة ذاتها جزءا مهما من السياق المصاحب، لما يقوم بينها من تفاعل دينامي(٧٣)، وعلاقة اتصال غالبة فكريا وشعوريا، يختزل إيديولوجيا الكتابة، مما يمكن الانتفاع به في إدراك المقاصد والغايات الخطابية، أما الخلفية الثقافية المؤطرة بمرجعية الكاتبة، وربما مرجعية الجريدة نفسها التي تعد الكاتبة أحد كتابها المهمين فتمثل السياق السابق الذي تحكم في ولادة النصوص ذاتها.

ولعلنا لا نكون مجانبين للصواب إذا نعتنا الثقافة التي تصدر عنها الكاتبة بسمة التفتح على الآخر، من خلال الدعوة إلى الإفادة من خبراته الاجتماعية والعلمية والاقتصادية، وقرينة ذلك توظيف الحجة الواقعية المتصلة بأحوال مجتمعية مغايرة، بخاصة في نصوص: الشمس المهاجرة وزواج القاصرات والوأد الحضاري وتناقص أعداد الممرضات السعوديات، لماذا؟.

كما يمكن تسجيل ردود أفعال القراء من حيث كونها سياقات لاحقة ضمن مكونات السياق العام الذي يساعد المتلقي على فهم الدلالات الضمنية المتخفية في

---

(٧٢) انظر: نصر الدين صالح، **التحليل الدلالي**، ص ٣٩و ٤٢، وانظر أيضا حسام فرج، **نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري**، ص ٢٣. لعل من أهم المصطلحات الشائعة في مجال الحديث عن السياق السابق مصطلح سياق الموقف أو الحال (co-texte)، والذي عد أساس النظرية السياقية عند فيرث وأستاذه **مالينوفسكي**، انظر أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص ٦٨ وما بعدها.

(٧٣) انظر: محمد خطابي، **لسانيات النص**، ص ٣٠١.

لبوس اللفظة العادية [٧٤]، فالنص المنجز في الكتابة الصحافية يفترض دوما رد فعل كتابي من طرف مخالف أو مؤيد، وفي ضوء غياب تلك الردود عن معرفة المتلقي، يمكن الاستئناس بديمومة فعل الكتابة قرينة دالة على القبول الجماهيري للكاتبة مدة حول كامل من التواصل الكتابي مع القارئ المحلي. فمواصلة الكتابة في الجريدة نفسها عن موضوع نظام ساهر مثلا بعد نص الكاتبة الموسوم بـ "نظام ساهر القاهر" يمكن عده جزءا من السياق المصاحب الذي يعبر عن رد الفعل الاجتماعي الذي يتوسع شيئا فشيئا مكونا خطابا لسانيا شموليا بنيته الكلية: "سبل الامتثال إلى النظام".

غير إن رد القارئ الإيجابي لا يؤخذ على إطلاقه فقد أثار نص "زواج السعوديات من غير السعوديين" حفيظة بعض القراء، إلى درجة نعتهم للفعل بالجريمة التي لا تغتفر، يقول القارئ: "حيث تقول -أي الكاتبة- في صحيفة الجزيرة، في سقطة صحفية لا تغتفر، تعليقا على موضوع زواج السعودية من غير السعودي: "وقد يكون معهن بعض الحق بسبب التصحر والغبار وقلة الأمطار حتى أصبح بعض رجالنا أقرب للضبان والنسور، النمور وما شابهها من ذي مخلب أو ناب! فالفتاة إذاً من حقها البحث عن الكناري والبلابل"[٧٥].

---

(٧٤) انظر: حسام فرج، **نظرية علم النص**، ص ٢٤، وانظر أيضا Halliday ,Hassan, language, context and text, p06.

(٧٥) من هذه الردود أيضا سواء كان مؤسسا أم لا، تعلق **صالح الشيحي** بالقول: "كارثة أن يكون هذا أسلوب كاتبة لها جمهورها ومتابعوها.. هذا كلام يخجل الإنسان من قراءته فكيف بكتابته ؟!، قضية زواج السعودية من رجل غير سعودي لا يمكن مناقشتها بهذا الأسلوب إطلاقاً.. هذه قضية شائكة.. ناهيك أنه لا يمكن مقارنتها بأي حال من الأحوال بزواج السعودي من غير السعودية.. بون شاسع بين الحالتين، قوانين كثيرة في عالمنا العربي تقف، في صف الرجل،

إن وجود السياق اللاحق للنص دليل على نجاحه في نظرنا في حلحلة المشكلة، وممارسة ضغط ذهني على المتلقي والجمهور عموما بغض النظر عن طبيعة الاستجابة المحصلة، كما إن رفض بعض القراء لمضمون الأطروحة لا يعني بالضرورة رفضا لها عند الأغلبية(٧٦).

لذلك فالأطفال الذين سيكونون نتاجاً لزواج السعودي بغير السعودية سيلحقون بأبيهم، وسيكون باستطاعته اللحاق بهم متى شاء في حال انتهى الزواج، على العكس من الزوجة.. وما نسمعه من حجج، مثل العنوسة، أو كثرة حالات الطلاق، وغير ذلك، لن يكون وسيلة لإقناعنا بقبول فكرة زواج السعودية من غير السعودي أبدا، ناهيك عن بعض الردود المضمرة لخطابات عنيفة ضد حرية الرأي الذي لا يخالف الدين، قول أحدهم: للأسف إنها سعودية؟؟ وقول الآخر هي من القصيم، ومن قبائل بني تميم .انظر منتدى **تعب قلبي** على الشبكة العنكبوتية، كما ينظر مفهوم المقبولية من حيث كونها رغبة نشطة للمشاركة في الخطاب، قائمة على التفاعل بين اطراف مختلفة: حسام فرج، **نظرية علم النص**، ص ٥٢، وانظر توسعا: R.D.Beaugrande, introduction to text linguistics, p132.

(٧٦) انظر: حسام فرج، **نظرية النص**، ص٤٣. البحث في هذا الاستشهاد لا ينوي التورط في مناقشة فكرة لا تنفض يديها من الإيديولوجيا، فهي مشبعة إلى أقصى درجة بها، وإنما غرضه وصف النصوص في سياقاتها فقط. فمثلما تنطلق صاحبة النص في السياق الخاص من معتقدات وأهداف ورؤى إنسانية تغذي بها أطروحتها الأساسية، يغذي المتلقي أيضا ردوده المناهضة للفكرة المعطاة بمعتقدات وأهواء ونزعات اجتماعية ضرورية في إيديولوجيته لحماية النقاء الاجتماعي الذي تضمنه المرأة الأم. ومن ثم الحفاظ على الخصوصية الاجتماعية وتحقيق الأمن الجمعي، ولعل تلك التصورات تكون مقبولة نظريا، إن تم تحديد فهم موضوعي للآخر. وعن مفهوم السياق الخاص ينظر حسام فرج، **نظرية النص**، ص٤٣، وأيضا: Robert De Beaugrande & Dressler, Introduction to text linguistics ,p163.

إن الناظر في المكون المعجمي لسائر النصوص التي تتشكل منها مدونة رقية سليمان يتكشف له مجال خطاب معين مؤطر بحقل معجمي أساس هو حقل الإصلاح الاجتماعي الذي يعكس الغرض الأساس من فعل الكتابة الصحفية ذاتها. أما عن أدوار المشاركين في الخطاب فيمكن القول أن الكتابة الصحافية، وإن كانت تنطلق من تصور جمهور مفترض من المتلقين يعبر عن تواجد فعلي وفعال للمتلقي المفترض في ذهن الكاتبة[٧٧]، فهي تنطلق من صوت واحد غير متعدد يعلو صوته، دون وجود من يشاركه في النص المنجز رأيا، أو يدلي بموقف ما، إلا أنه يمكن الاحتكام إلى طبيعة الألفاظ المختارة، وأسلوب صياغتها من وصف طبيعة العلاقة العاطفية، والتي لا تعبر عن خصوصيات معجم الكاتبة المعجمية والتركيبية، في ضوء اختياراتها الأسلوبية والبلاغية فقط.

بل تعكس أيضا شعور الكاتبة تجاه أبناء وطنها في العموم، فهدوء النقد، والابتعاد عن الكلمة النابية أو الجارحة يجعل النص المنجز أكثر قربا من وجدان القارئ[٧٨]، ومن ثم التمكن من تصوراته الفكرية بخلاف أساليب أخرى تنتمي إلى الفضاء الكتابي نفسه، والتي اتخذت قصدا أسلوب التهكم سلاحا للإقناع والتجهيل.

إن النصوص المختارة تكشف في عمومها عن توجه الخطاب إلى متلق محب لمجتمعة، مهتم بأدوائه، يبحث عن المصلحة العامة، يدافع عن مكتسبات الأمة ومقدراتها بدون تكلف أو تطرف، يؤمن بالتغيير الايجابي، ويشاطر الكاتبة في همومها الثقافية والاجتماعية بالدرجة الأولى، مما يعني أن أسلوب الكتابة بإمكانه أن ينتج حالة مزاجية متلبسة بالقارئ الذي يتفاعل إيجابيا مع الخطاب الإصلاحي المنجز.

---

(٧٧) انظر: حسام فرج، **نظرية علم النص**، ص ٥١.

(٧٨) المرجع نفسه، ص ٣٨، وانظر أيضا: Ann .M .John , text , role and context ,p33-34.

إن تطلع الكاتبة إلى تغيير النمط الفكري السائد، وإصلاح ما اعوجّ من عادات اجتماعية، وسلوك فردي غير منتظم يندرج في سياق اتصالي ناقل للثقافة من مستوى وعي عادي إلى مستوى أعلى فيه، ومن الضروري -كما يقول نصر أبو زيد- أن يتم الربط بين إنجاز النص لفعله الكلامي، وتقبل الجماعة له، مع مراعاة علاقات الصراع الاجتماعي الذي تتحكمه تناقضات المصالح(٧٩).

كما يتصل البحث في الانسجام النصي بمحاولة تحديد نوع الخطاب، أو صنف النص الذي يندرج تحته الملفوظ من حيث كونه إنجاز لحدث اجتماعي متواصل له غرض وقصد معين، ونصوص المنشود أو المؤمل في كتابة رقية سليمان تنتمي إلى ذلك النوع الكتابي النثري الذي ينقد المؤسسة الاجتماعية قصد تصحيح أوضاعها، والدفع بها نحو صورة أمثل من النجاح والتميز في جميع المجالات، متخذة الوصف والتفسير والحوار مطية لها لتشكيل خطابها الإقناعي الذي تغزل خيوطه البنوية والفكرية في ضوء تكامل الأنواع النصية وتداخلها المقطعي، فليس ثمة نص منعزل عن تشكلات اللغة المختلفة.

ذلك إن أي نص يتأثر صاحبه بالخبرات السابقة لكل النصوص التي تنتمي للنوع نفسه، وبالخطابات المنتمية لأنواع أخرى، مما يعني إمكانية إعادة إنتاج النوع ذاته عبر أنواع أخرى ضمانا لاستمراريته الشكلية والمقاصدية(٨٠).

يقرر روبيرت دي بوجراند في كتابه "النص والخطاب والإجراء" ارتكاز الملفوظ لتحقيق نصيته على معايير أساسية تشكل نصيته، وهي: المقامية والقصد والقبول والإعلامية والتناص والاتساق والانسجام.

---

(٧٩) انظر: نصر حامد أبو زيد، **النص، السلطة، الحقيقة**، ص ١٠٠.

(٨٠) انظر: حسام فرج، نظرية النص، ص ٣٥.

ولعل من أهم هذه القواعد التي تتحكم في العلاقة بين المنتج والمتلقي قاعدتا القصد والقبول، فبينما تقوم قصدية النصوص على رغبة الكاتبة إحداث إصلاح اجتماعي عام يمثل الفعل الكلامي المنجز بالقول النصي بشكل مباشر أحيانا، يصرح به، ويعلن عنه، وبشكل غير مباشر، يومئ إلى القصد العام، تنخرط النصوص من حيث مقبوليتها في نوعية الردود المحصلة من جمهور القراء بخاصة والمجتمع بعامة مما يمكن عده من زاوية نظرية أفعال الكلام فعل تأثيريا تختلف درجته باختلاف القوة الإنجازية التي تحكمت في الفعل المنجز.

إن قصد الكاتبة لا يتوقف عند حد الأطروحة التي تدافع عنها عبر متوالية نصية محكمة النسج، بالرغم من اختلافاتها الموضوعاتية واختياراتها الأسلوبية الظاهرة، بل تتجاوز، هذا الهدف إلى رغبة إقناع القارئ، وإيصاله إلى مرحلة تغيير السلوك أو تعديله [٨١]، مما يمكن عده قصدا عاما أو بنية كبرى، تمارس اللغة وظيفة التأجيل المستمر لها عبر مساحة نصية معتبرة.

ح) علامات حدود الموضوعات

يقوم وصف النص مبدئيا على تقطيع بنيته إلى وحدات خطابية أساسية، تمثل كل وحدة فيه موضوعا مركزيا يدور حوله الكلام الشفهي أو الكتابي، ومحاولة الوصول إلى حدود هذه الوحدات تتطلب النظر أولا في الغرض الأساس من القول، ووجهة الخطاب في إحالته على ذات مخاطَبَة أو مخاطِبة أو غائبة بالدرجة الأولى، كما ينظر إلى توجه الكلام زمانيا، وما إذ كان مرتبطا في حركته الحديثة بالماضي أو الحاضر أو المستقبل، أو تغييب لحركة الزمن، أما القرائن الحالية المصاحبة فيمكن الاستئناس

(٨١) المرجع نفسه، ص ٤٨، وانظر أيضا: فان ديك، **علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات**، ص ١١٨ وما بعدها.

بها في تأكيد التمايز المقطعي مثل علامات الترقيم، والتفصيل مثل ما تقوم به أما من تمييز لموضوعات جزئية تتكون منها القضية الرئيسة موضوع الدعـوى، أو ما ينوب عنها في الخطاب الشفوي مثل ظواهر التطريز الصوتي، وفي صدارتها التنغيم، والسكتات التي تشي بانقطاع الحديث في موضوع ما، واستئناف موضوع جديد تربطه به تأكيدا علاقة ضمنية لا يبوح بها ظاهر الخطاب(٨٢).

ففي نص "تقدير الذات" انتقلت الكاتبة من موضوع المقدمة الذي يهيمن فيه وصف الفكرة، وعرض المشكلة بتعريفها في المنظور العام إلى وصفها وعرضها في المنظور الخاص، من خلال استدعاء رأي باحثة على سبيل الاحتجاج بالسلطة العلمية «يعمد البعض لتعزيز الثقة بأنفسهم للميل إلى توفـير الإمكانيات المـادية، سواء بالحرص على الحصول على منصب أو بالنفوذ الشخصي أو المـادي أو بطريقة الملبس وأسلوب الحديث. بينما لا يمكن أن توجد الثقة بالنفس وبالتالي النجاح ما لم يوجد الشعور بتقدير الذات. تقول د. نانسي ويلوت أستاذ علم النفس بجامعة كولومبيا: "إن صورتنا عن أنفسنا تسهم بشكل فعال في نجاحنا، لأن أي خلل يحدث في هذه الصورة يدفعنا لسوء تقدير إمكاناتنا ومستقبلنا وطموحاتنا، مما يعرقل قدرتنا على تحقيق الأفضل"»، فبالرغم من اتصال الفقرة الأولى بالفقرة الثانية بناء على وحدة الموضوع ونموه واستمراريته إلا أنه يمكن عدهما وحدتين خطابيتين متمايزتين من حيث اشتغال الأولى بالتعريف العام، وانصراف الثانية إلى التعريف الخاص الذي يعبر عن الرأي العلمي المتخصص الذي يزيد الفكرة تأكيدا وفق خطة القول المرسومة.

---

(٨٢) بروان ويول، **تحليل الخطاب**، ص ١٢٢، وقد ذكر **براون ويول** أشكالا منها مثل تحديق المتكلم، وحركاته الجسمية واستعمال ألفاظ تشير إلى تغير موضوع الحديث مثل أجل والتأوه والهمهمة وغيرها.

ط) العنوان، وانسجام النص

يؤشر العنوان للموضوع الرئيس الذي يمثل بؤرة النـص المنجز[٨٣]، فقد يعبر صراحة عن الفكرة العامة، كما قد يختزلها في صورة جزئية من صورة الفكرة الكلية، بل يمكن القول بتحوله في بعده الكلي إلى نص مواز أو مصاحب (Paratext)[٨٤].

ويقوم العنوان في نظر الدارسين بوظيفة تنبيهية، وتحفيزية قصد ممارسة فعل القراءة، والترويج للمعنى باعتباره أول عتبة يطؤها القارئ ليلج عالم النص[٨٥]، وبقدر مناسبة العنوان للخطاب، وموضوعه العام يتحقق الفهم، وتأول الدلالة بما يحقق انسجام الخطاب في مستوييه الداخلي والخارجي، أي بين محتواه، وأفق توقعات المتلقي، بل إن العنوان أهم وسيلة لاستدعاء المعنى، أو تخزينه في الذاكرة، لمرحلة أخرى يتم فيها استغلاله في مقامات التفكير والتبليغ المختلفة.

هـذا وتحتاج عناوين عديدة من حيث بناؤها المعجمي والنحـوي إلى إدراك استلزامات خطابية عديدة لربطها بمضامين النصوص المختلفة بخاصة في الخطاب الشعـري، أمـا النصوص النثرية وبخـاصة الإعلامية منها، والمعتمدة عـلى خـطـط

---

(٨٣) انظر: جميل حمداوي، **"السيميوطيقا والعنونة"**، مجلة عالم الفكر، وزارة الثقافة الكويتية، عدد٣، مجلد ٢٥، سنة١٩٩٧، ص ٩٧ وما بعدها. وانظر أيضا رواينية، الطاهر، **"شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي"**، ملتقى السيمياء والنص الأدبي، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، ١٩٩٥، ص١٤١.

(٨٤) Gerard Genette, Introduction a l archi texte, collection, poetique, ed Seuil, Paris, 1979, p86 -87

(٨٥) انظر: سليمة لوكام، **"شعرية النص عند جيرار جينيت، من الأطراس إلى العتبات"**، مجلة التواصل، محكمة تصدر عن جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، عدد ٢٣، جانفي ٢٠٠٩، ص٤٨ و٤٩.

الوصف والتفسير والعرض والطلب فتكاد تنخرط جميعها في سياق الوضوح الدلالي المصاحب لقصدية الإفصاح عن الأطروحة الرئيسة بشكل مباشر، تحقيقا للتفاعل الاجتماعي مع الجماهير، فعناوين رقية سليمان في ضوء المدونة المعينة واضحة، وبسيطة في تركيبها النحوي، يغلب فيها التأليف عادة بين المبتدأ وخبره في سياق الجملة الاسمية الإخبارية البسيطة، باستثناء بعض العناوين التي اختارت بنية الإنشاء الاستفهامي.

ي) موضوع الخطاب وقواعد بناء البنية الكبرى

تمثل الفكرة العامة أو الأساسية بوصفها منطلقا للنص، وأطروحة أساسية له الموضوع الذي يحين إليه خطاب ما، فيكون الغاية من العرض النصي، وبؤرته التي يتمحور حولها حدث الكلام، ومن ثم فعل التأويل، إذ إن معرفة المتلقي بموضوع الخطاب[٨٦] المعين تضمن في مرحلة القراءة اكتشاف أهدافه، ومقاصده الثاوية خلف حرفية المعنى اللفظي والجملي.

وانطلاقا من المعلومات السالفة أو المعرفة الخلفية والمعرفة بالعالم مما يمكن عده إطارا مرجعيا للموضوع، تتغذى قدرة المتلقي التفسيرية، وتمكنه من اشتقاق المعاني الفرعية التي تكون بدورها، وعبر استنتاجات ذهنية ومعرفية المغزى أو معنى المعنى، والذي يتوخى المؤلف صياغته عبر اختيارات قولية منجزة لفعل الكلام المطلوب. هذا وترسخ النظرية النصية الحديثة قيام البنية اللغوية على قواعد أساسية لبناء وفهم النصوص المتشكلة عبر استراتيجيات خطابية مختلفة.

---

(٨٦) محمد خطابي، **لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص٧٠ .

ولعل أبرز من وضح المسألة في ضوء مفهوم نحو النص العالم الهولندي فان ديك بخاصة في كتابه النص والسياق[٨٧]، كما أكد ارتباط فهم النصوص بمستوى إدراك المتلقي لطبيعة العلاقة المنطقية الدلالية التي تربط القضايا التي تحملها الجمل بوصفها بنى صغرى تتشكل منها صيرورة الخطاب اللسانية، وأساسه الفكري، في ضوء اكتشاف العلاقات الدلالية الكامنة بينها، وانطلاقا من معرفة العالم والمعرفة السابقة[٨٨]، وبضعة عمليات ذهنية مؤطرة بفعل الاستنتاج والاستدلال بوصفهما قواعد كبرى يتمكن المتلقي من ملء فجوات النص، وفراغاته المعبرة عن المضمر، ففي نصنا يمكن اختصار البنى الفرعية في قضايا أساسية مترابطة دلاليا، وفي ضوء ترابطها يتحقق انسجامها مع البنية الكبرى للنص "تقدير الذات، ثابت أم متغير" في ضوء التراتبية القضوية التالية:

١- مفهوم تقدير الذات، ٢- مصادر تقدير الذات، ٣- الإيمان بالقيم رافد لتقدير الذات، ٤- الثقة بالنفس رافد لتقدير الذات، ٥- الماضي وتحطيم الذات، فإذا كانت القضايا الأربعة الأولى مفعلة لأطروحة تثبيت تقدير الذات، فإن القضية الفرعية الخامسة مجسدة لمفهوم تغير تقدير الذات، مما يعني استكمال الإجابة علة السؤال الضمني الذي تضمره الجملة الفاتحة ممثلة بالعنوان المعين: وفاده: هل تقدير الذات إحساس ثابت أم متغير؟.

---

(٨٧) فان ديك، **النص والسياق**، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩، ص ٨٢ و١٢٣.

(٨٨) انظر: فان ديك، **علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات**، ص ٧٥، وانظر سعيد حسن بحيري، **علم لغة النص**، ص ٢٥٥، وانظر أيضا عبدالقادر بوزيدة، **"فان ديك وعلم النص"**، مجلة اللغة والأدب، فصلية محكمة تصدر عن قسم اللغة العربية، جامعة الجزائر، عدد١١، سنة ١٩٩٨، ص ٢٥.

لقد عرض **فان ديك** وزميله **والتر كينتش** قواعد كبرى تتحكم في تنظيم الفهم وتشكيله ذهنيا لدى متلقي النص، وهي قاعدة الحذف والاختيار والتعميم والتركيب [٨٩]، و تعني قاعدة الحذف استبعاد كل العبارات غير المهمة في تشكل المعنى الأساس.

أما قاعدة الاختيار فتتضمن الاكتفاء بالقضية المهمة التي يحتاجها المتلقي لفهم القضية الرئيسة، فكثير من القضايا المعبر عنها في النص يمكن استبعادها، والاكتفاء بما هو غير مضمن بالضرورة في البنية الكبرى، فلنا مثلا أن نستبعد احتجاج الكاتبة بمقالة نانسي ويلوت -مثلا- بالرغم من أهمية الحجة ذاتها في تثبيت أطروحة الكاتبة.

أما قاعدة التعميم فيجنح إليها على سبيل الاستبدال الذي يعوض بنية سالفة بعد أن يستوعب مفهومها لتضحي جزءا من المفهوم الجديد، فلو أخذنا المقطع التعليلي التالي للكاتبة فإنه سيكون مثلا حيا لبناء فكرة رئيسة بناء على قاعدة: "*ولا تعجب حين ترى أحد زملاء الدراسة وقد تردى مستوى تقديره لذاته برغم تميزه أثناء الطفولة أو الشباب. وقد تعذره حين تعلم أنه تعرض لتحول في مسار أحداث حياته كرحيل شخص عزيز، أو بسبب تعرضه لحادث أو إصابته بمرض عضال، أو خسارة في تجارته أو فقده لوظيفته* "، فالمتواليات الجملية والقضوية يمكن استخلاص قضية رئيسة عن طريق التعميم فنقول كما قالت الكاتبة: *الاضطرابات الحياتية والمشكلات المالية تشكلان مزيجا مَرًا، وهراوة قاسية لتحطيم سلالم تقدير الذات*. أما قاعدة الدمج أو التركيب فيمكن استثمارها في تلخيص مجموعة من الأفكار عن طريق دمجها في بعض لتحصيل بنية قضوية أساسية، ومثالها دمج كل الجمل المعبر بها عن القضايا الفرعية في جملة استفهامية واحدة عنون بها نص الهويريني السالف، تقدير الذات ثابت أم متغير؟.

---

(٨٩) انظر: تفصيل القواعد في فان ديك، **علم النص**، ص ٨١ و ٨٤ و٨٧ و٩٤.

إن التحقق من تماسك النص المعين مرتهن بمدى قدرة القارئ المثالي على استثمار هذه القواعد ذات الصفة الاختزالية في جوهرها في تفتيت جزيئات المادة النصية من ناحية المضمون، ومن ثمة إعادة صياغة بنيتها القضوية الفرعية، وتعليق بعضها ببعض وفق قواعد الدلالة الأساسية مثل اربط السبب بالنتيجة، وإحالة الذات على الحدث و تعليق الخاص بالعام والمقيد بالمطلق والجزئي بالكلي على سبيل التضمن أو الالتزام(٩٠).

وعلى صعيد تنظيم المعلومات في نصنا المعين يمكن الحديث عن تتابع ملائم للفكرة الأساسية يقوم على تتالي للفقرات التي تشكل بتتابعها الجملي مقاطع ابتدائية وصفية وتفسيرية يهيمن عليها التعريف والتقرير من ناحية الغرض، أما هندسة البناء فقائمة على سلسلة ممتدة من الجمل القصيرة والطويلة تنفتح على جملة فعلية إخبارية مثبتة غائية طويلة هي: يعمد البعض لتعزيز الثقة بأنفسهم إلى توفير الإمكانيات المادية، ثم تتوسع بالإلحاق والعطف بـ: أو لتكتمل دلالتها الرئيسة في فقرة مستقلة نسبيا من حيث المعنى العام على الصورة التالية:

"عمد البعض لتعزيز الثقة بأنفسهم للميل إلى توفير الإمكانيات المادية، سواء بالحرص على الحصول على منصب أو بالنفوذ الشخصي أو المادي أو بطريقة الملبس وأسلوب الحديث". هذا ويمكن تقطيع هذا النص إلى فقرات خمس، يمكن عدّها نصوصا صغيرة (Mini Text)، تبدأ الفقرة الأولى فيها بالجملة الفاتحة إلى حد قول الكاتبة (على تحقيق الأفضل)، وتبدأ الثانية من (إن احترامنا لذواتنا)، وتنتهي عند (والإنجاز)، بينما تبدأ الثالثة من (طالما يعقد الشخص)، إلى (جلد الذات)، وأما الفقرة

(٩٠) يقرر فان ديك أهمية هذه القواعد في وصف إجراءات الوصول إلى معنى الخطاب ومحوره أو فكرته الرئيسة في المتعرف عليه، انظر **علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات**، ص٩٤.

الرابعة، فتبدأ من (أما ما يمكن أن يحدد مستوى تقدير الذات) إلى (لتقديرها)، أما الفقرة الخاتمة فتبدأ (وبالمقابل)، وتنتهي مع آخر جملة تقريرية في النص لتحطيم سلالم تقدير الذات.

ك) استراتيجية الكتابة الصحفية وتنظيم المعلومة النصية

تنخرط نظرية تحليل الخطاب في محاولة الإجابة عن سؤال مهم يتصل بتجنيس النص، وتحديد نوعه في ضوء المفارقة الشكلية والغرضية، فبينما يعبر الملفوظ عن معان ظاهرة يتيح التحليل النحوي الدلالي التمكن من تفاصيلها، وإدراك محتواها، ينتج الخطاب العابر من خلالها إلى توقع المتلقي أفعالا كلامية أساسية تندرج في التحذير من بعض القيم السلبية المستشرية في الجسد الاجتماعي.

والدعوة إلى إصلاح الخلل عن طريق التوضيح والتوجيه والحجاج عن رؤية حضارية معينة، تعكس رؤية الكاتبة، ويقينياتها بالدرجة الأولى، والتي تم التعبير عنها من خلال نموذج كتابي يعرف بالمقال الصحفي بوصفه بنية عليا، تتشكل من عدد لا نهائي من النصوص المتشابهة شكلا ومحتوى، مع الاحتفاظ بالاختيارات الأسلوبية، والخطط القولية الخاصة من حيث كونها مؤشرات أسلوبية تعبر عن لا نمطية النصوص المنجزة في الموضوع الواحد من جهة، وتعكس الاختلاف حول بناء نظرية نصية واحدة في تجنيس النصوص تتمتع بصفة شمولية من حيث القواعد والاختيارات[٩١].

---

(٩١) انظر: سعيد بحيري، **علم لغة النص**، ص ٢٢٠ وما بعدها، وانظر أيضا: فولفجانج هاينه من، وديتر، **مدخل إلى علم لغة النص**، ترجمة فالح العجمي، ص ١١٩، وما بعدها، وفان ديك، **علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات**، ص ٢٠٧، وما بعدها.

إن المهم في سياق عرضنا هذا تأكيد التوافق الحاصل بين اختيارات الكاتبة، ومعرفة القارئ بخصائص المقال الإعلامي ذي النزعة الاجتماعية من حيث شكله ولغته ومضامينه الفرعية، فهذا التوافق يبني بالتأكيد التماسك النصي بين فعلي الإنتاج والتأويل.

إن التماسك الشكلي بين سلسلة النصوص المختلفة موضوعيا في المدونة قائم على تشكلها البنوي الواحد الذي يهتدى إليه عن طريق مقارنة القارئ لأنواع النصوص المختلفة، واستنباط المكونات الشكلية التي تقوم عليها في تمثيلها للنظام الكلي ذي الصفة المعمارية المجردة، وهذا ما يعرف بهيكل الخطاب أو خطاطته الأساسية (Chema de discour)[٩٢].

كما إن المعنى الدلالي الذي تنهض عليه النصوص المتنوعة، والتي تكون في مجموعها خطاب الإصلاح الاجتماعي عند الكاتبة رقية سليمان يمكن استجلاؤه -كما مر بنا- من خلال وصف المعاني الجزئية التي تعبر في تعالقها عن المعنى الاتصالي التداولي، وهو في الحقيقة المعنى الفاعل في الخطاب الذي هدفت هذه الدراسة إلى استجلائه عبر التحليل النصي التداولي، والربط بين معاني النصوص الفرعية في ضوء علاقة الكاتبة بالجمهور المتلقي، في ظل سلطتي الزمان والمكان المعينين يحيل إلى انسجام داخلي بين أطراف المدونة المختارة من جهة، وانسجام آخر مقامي بين النصوص باعتبارها كتابة والواقع الاجتماعي المعبر عنه بهذه الكتابة.

---

(٩٢) انظر: فان ديك، **علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات**، ص ٢١٠ و٢١١و ٢١٢، وفي هذا السياق يعرف **فان ديك** البنية العليا بقوله: «**بناء ذهني يمثل معرفة الإنسان بالشكل النمطي لنوع النص**»، ص ٢١٠.

كما يكشف ارتباط النصوص العلاقة الكائنة بين الكاتبة والإطار النفسي الاجتماعي الذي يكتنف عملية الكتابة الصحفية نفسها في حيز جغرافي وزماني محدد سلفا، له مرجعيته الثقافية والفكرية والأدبية التي يتأسس عليها، وينخرط في صيرورتها الحضارية، بما هي فعل تعبيري يمثل هاجس المثقف العربي في اتصاله وانفصاله عن الواقع المعيش، وأسلوب تعاطيه مع المؤسسة الحاكمة للجماعة التي إليها ينتمي، بل ربما يذهب بعيدا في تأويل علاقة المشروع الإصلاحي المنجز في الكتابة الإعلامية السعودية المحلية والواقع اليومي للمواطن بما يكتنفه من إشكالات فكرية تسبب نوعا من الصدام المرجعي بين أنصار التحديث الاجتماعي ومؤيدي التراث بما تحمله هذه اللفظة من دلالات ثقافية واجتماعية ومذهبية قد تكون فضفاضة وعائمة أحيانا كثيرة، وبين الراغبين في الأنموذج المدني الغربي، وتفسيره للعلاقة بين الفرد والمؤسسة، والمعرضين عنه لأسباب كثيرة بعضها موضوعي، وأخرى غير ذلك. لقد نتج عن تفاعل هذه الأسيقة، وإحالة النصوص عليها خطاب إصلاحي اجتماعي ينقد في هدوء بمنطق سليم، دون أن تنخرط صاحبته في استهزاء أو استهتار أو استخفاف بعقول المخالفين، أو المخاطبين بصفة عامة بخلاف ما يتلمسه القارئ الحصيف في بعض النماذج الإعلامية الأخرى في فضاء المدونة الصحفية نفسها[٩٣].

(٩٣) نقصد بهذا الوصف الخطاب اللاذع الذي تشكله نصوص محمد عبد اللطيف آل شيخ وحماد السالمي التي، وأدرج حججها في ما يعرف نظريا بحجج التجهيل، إذ تقدم هذه الحجة في سبيل إضعاف قوة الرأي المضاد على رسم حاجته بالجهل والزعم والظن وتهافت الفكر قصد صرف السامع عنه، وتحويل وجهته السماعية والعقلية والعاطفية إلى المحاجِج فقط، إن وسم الآخرين بالتجهيل يضم بين طياته نفيا للآخر، ورفضا لمبدأ الحوار والجدل ذاته، لاغيا تعدد الأصوات ودمجها في صوت واحد له سلطة التوجيه والتعليم والسيطرة، كما أن اعتماد هذه

ولعل من أهم خصائص الكتابة الإعلامية التي تميز نصوص رقية الهويريني اهتمامها بأسلوب التهويل والتضخيم قصد إثارة القارئ، ولفت انتباهه لأهمية ما يوصف أو يقرر، مستدعية صيغة الإخبار في الماضي تمعينا لدلالة الثبات والاستقرار على الحال، ومن ذلك ما يستشف من تعليقها على نظام ساهر القاهر(٩٤): "أصح المرء وجلا خائفا مترقبا(٩٥)، يضع يده على محفظته كلما تلقى رسالة جوال خشية أن تكون مرسلة من المرور بعد تطبيق نظام (ساهر القاهر)".

لقد حملت هذه المقدمة الأطروحة الأساسية، أو دعوى النص الحجاجي الذي ستبذل المحاججة له حججا مختلفة في قوتها الإقناعية توزعها على المساحة النصية بخطة تعادل فيها بين حجة الواقع وحجة المنطق، كما يلفتنا استهلالها إلى التأثر

الحجة يسم طرفا من المحاجَجين بالوثوقية والاستقامة والانتخاب في مقابل طرف آخر يمتاز بعكس الصفات السالفة. و المصادرة على المطلوب، والحجاج المغالطي الذي اعتمده قدماء السفسطائية في قلبهم لحجج الخصوم، والبناء عليها، هذا لا يعني الإنقاص من قيمة الرأي عندهما بل بالعكس من ذلك لقد قادتني دراستي في نماذج لنصوصهما لم تنشر بعد إلى تأكيد براعتهما في بناء الخطاب الحجاجي، وقدرتهما على تنويع الحجج وتنظيمها تنظيما محكما يحقق غاية التبليغ والإقناع والإمتاع في الآن نفسه. انظر توسعا نعمان بوقرة، تحليل الخطاب غير الأدبي، مخطوط تحت الطبع، وانظر مفهوم الحجاج المغالطي في المدونة التراثية في: الجاحظ، **البيان والتبيين**، إذ يقول: "هو تصوير الحق في صورة باطل"، ١/ ٢٢٠، وانظر توسعا: محمد النويري، **"الأساليب المغالطية"**، ضمن أهم نظريات الحجاج، ٤١٣ وما بعدها.

(٩٤) رقية الهويريني، "نظام ساهر القاهر"، جريدة الجزيرة، عدد١٣٧٥١ سنة ٢٠١٠، ٢٣ مايو ٢٠١٠، ص ٣٠ تحت عنوان المنشود.

(٩٥) تتناص هذه الصورة مع صورة قرآنية تصف حالة موسى عليه السلام لما اعتراه الخوف بسبب وكزه للرجل، قبيل خروجه إلى مدين خائفا يترقب في سورة القصص، وهذا إنما يدل على تأثر أسلوب الكاتبة بأسلوب القرآن الكريم.

بأسلوب القرآن في التصوير، إذ تتحاور المقدمة مع قوله تعالى فخرج منها خائفا يترقب، تأكيدا للجو المريب الذي يكتنف حياة المواطن، فنظام ساهر أصبح مصدر قلق له، بل لقد تحول إلى مدعاة إلى لا أمن السائقين، في الوقت الذي كان يهدف فيه بداءة إلى إصلاح حال الناس، وتنظيم حياتهم المرورية، والتي هي جزء من حياتهم الاجتماعية، واستقرارهم المدني .

كما تكشف وحدة جوال عن هيمنة نظام الاتصال السمي بالرسائل القصيرة في التواصل اليومي، وقد يدل على سبيل الافتراض المسبق على الوضعية الاجتماعية والميسورة في تملك جهاز اتصالي متطور، أو انشغال الناس الدائم، أو تطور نظام الاتصالات في المجتمع، وتفوق الحكومة الالكترونية في تعاملاتها اليومية مع المواطنين.

أما القوسان فيؤشران إلى أهمية المنصوص بينهما، مما يؤكد أثرهما النفسي البصري على القارئ، ووظيفتهما التنبيهية له على ما تشير إليه الدراسات السيميولوجية المعاصرة. لقد استند الدفاع عن نظام ساهر في رؤية المحاججة على نقد رؤية الآخرين، ودحض تصورهم السلبي من حيث كونه أضحى وسيلة إلى استغناء الخزينة العامة، فالرافضون يرون هذا النظام الرقابي في سرعة تطبيقه الصارم بدون تهيئة مسبقة أو كافية للسائقين أضحى صيادا يتحين عثرات الفرائس لينقض عليها مشبعا نهمه في إذلالها، والسيطرة عليها ماديا، ولعل استناد المحاججة إلى منطق التدرج في التشريع، بوصفه منطقا إلهيا قضى بتحريم المحرم بعد التدرج في ذكر معايبه أكثر الحجج النفسية تأثيرا في الواقع الفردي والاجتماعي: "إن السرعة في تطبيقه دون تمهيد وتهيئة وإرشاد وتوجيه للمواطنين والسائقين يعد خطأ فادحا"، فمبدأ التدرج الذي تدعو المحاججة إلى اعتماده في هذه الحال أمر لابد منه، وقرائن التدرج أفعال كلامية تبيينية

تنزع إلى التوضيح وبسط الرؤية والمزايا قبل أن تتحول إلى أفعال إيقاعية طلبية: تمهيد – تهيئة إرشاد – توجيه[٩٦].

أما النوع الثاني من الحجج فيمكن ربطه بالواقع الفعلي الذي يقوم الفعل بناء على نتائج الممارسة، فالحجة الواقعية تسترفد طاقتها الإقناعية من معطيات الواقع المادي الذي انخرط في التنفير من صورة تطبيق نظام ساهر، فقد وصف المقطع الوصفي التالي حالة الناس، وتذمرهم من عدم دقة منظومته الرقابية: "لعل ثورة المواطنين واستنكارهم ضد هذا النظام لديها ما يؤيدها إذا أخذنا في الاعتبار بعض السلبيات مثل: آلية تسجيل المخالفات على مالك السيارة في حين أنه أحيانا قد لا يقودها كرب السيارة أو المرأة التي تملك السيارة، وتتحمل تكاليفها مع وقف تنفيذ قيادتها، وهذا الإجراء من باب الظلم للملاك وداع للاستهتار والتعمد من قبل السائقين، والأمر يسري على سيارات التأجير أيضا حيث تسجل المخالفات على شركة التأجير، وليس المستأجر، ويطبق على حالة الاستعارة"[٩٧]، إن هذا المقطع الوصفي لا ينخرط في سياسة تقريرية إخبارية عن الواقع فحسب، بل يتلمس طريق الاعتذار لتفكير الناس واحتجاجهم على مردود النظام المعين. إن النزعة التبريرية تتحول في هذا المقطع إلى فعل تعبيري إنكاري يغالي في إنكاريته بوصف النظام بالظلم وتجاوز

---

(٩٦) رقية الهويريني، "نظام ساهر القاهر"، جريدة الجزيرة، عدد١٣٧٥١ سنة ٢٠١٠، ٢٣ مايو ٢٠١٠، ص ٣٠ تحت عنوان المنشود، أما عن مفهوم الفعل التبييني فيمكن التوسع في: صلاح إسماعيل عبد الحق، **التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد**، ص ٢٢٢ وانظر أيضا:

Francois Recanati, naissance de la pragmatique ,in quand dire c est faire,p185.

(٩٧) رقية الهويريني، "نظام ساهر القاهر"، جريدة الجزيرة، عدد ١٣٧٥١ سنة ٢٠١٠، ٢٣ مايو ٢٠١٠، ص ٣٠ تحت عنوان المنشود.

الحدود، كما لم يستطع المقطع السالف اخفاء رغبة مضمرة بضرورة تطبيق المسؤولية شرط للحساب فالمرأة التي لا تقود لا تغرم.

إن هذا الملفوظ الوصفي من وجهة نظر تداولية صرفة يخفي إضمارات كلامية فعلية تنجز عملا غير صريح هو الدعوة إلى قيادة المرأة، إلا أن حيثيات المقام، وشرائط فعل التلفظ استلزمت خرق الصريخ بالمضمر الذي لا يخفى على المتأول في سياق ربط حبائل الكلام بعضها. ويستغرق المقطع الوصفي اللاحق الحجة نفسها، وقرائن هذا الحجاج الواقعي الوحدات المعجمية التالية:

معظم الناس – شركة خاصة متحكمة – دارة مرور الرياض – المخالفات – الغرامات – التحذير – التثقيف – السداد – الوساطات، وغير ذلك من الوحدات والعبارات التي تنتمي إلى حقل معجمي عينه هو حقل الواقع المروري. كما إن المحاججة اعتمدت في هذا الحقل علاقة الترادف التي تربط المعاني الإفرادية المتشابهة ببعضها لتقوية المعنى العام، وتأكيد الوصف، وترسيخ الفكرة.

كما تتكرس دلالة القلق عبر استدعاء وحدات تنتمي إلى معجم الخوف مثل: التشكيك – هاجس – التحذير – الحظر – ضحايا – حرب الشوارع – استنزاف الأرواح – إعاقات – أموات – ردع. هذا ولقد اخرط الخطاب الحجاجي المنجز في فعل كلامي أساسي يمثله فعل النصح، إذ تبادل المحاججة باعتبارها مواطنة بناءة فعل النصح للقائمين على نظام المرور، مسدية لهم توجيهات عملية تدعم نجاح الفعل، وتوفيقه في تنظيم الواقع المروري.

وقد تركز فعل النصح الذي التزمت به المحاججة تجاه النظام على طلب إنفاذ ما يلي: ١- توعية الناس، ٢- تحذيرهم من الإفراط في السرعة، ٣- ضبط أنواع المخالفات، وغراماتها،٤-التوعية المدرسية والمسجدية، وهذا يعني أعطاء مشروعية

مؤسسة اجتماعية للنظام، ٥-توظيف الإعلام، ٦- استثمار النص الإشهاري في التوعية الشعبية، ٧- التدرج في التنفيذ. تنطلق المحاججة في بناء استدلالاتها من معرفة سابقة، تجعل قصور النظام في تقنياته الذاتية في ورطة حقيقية، بل وتتهمه بالنقص، وهذا ما يعرف في أدبيات النظرية الحجاجية بأسلوب التجهيل، إذ كيف يمكن للقارئ أن يوفق بين صدور هذا النقد الوجيه من محاججة مهنتها الأساسية الكتابة الصحفية، وبين نظام يفترض قيامه على خبرات شخصية، ومعرفية عديدة، أفليس من الجهل أن يغفل النظام اللوحات الإرشادية التي تحدد السرعة في شتى الطرق الرئيسية والفرعية مثلا؟!

هذا ويعد المقطع الوصفي الأخير خاتمة نصية تصف حال المواطن السائق، والإرباك المادي الذي يسببه له مخالفة نظام ساهر القاهر، لقد تحول فعل العقاب أداة تربوية وإصلاحية لواقع الحال، وقد عبرت المحاججة عن رؤيتها الداعية إلى ترسيخ ثقافة العقاب المتدرج، كاشفة عن خصوصية اجتماعية مهمة تحين البعد المادي من جهة، وتجعله سببا في إثارة فئة أقل وعيا لا ترى في فقد المال إلا مدعاة للتندر والمباهاة، في قولها التقريري التالي: فلم أر مثل فقد المال معلما ومؤدبا [٩٨]! أما الأغنياء وأبناء الأثرياء فإن تلك المخالفات ستكون إحدى الدعابات المتداولة في جلسات الوناسة!

إن النتيجة المعطاة عبر هذا التحاجج لتظهر صراحة في أمل أن يحقق النظام غرضه الوقائي والاجتماعي، ملفتا مرة أخرى إلى مخاطر الاستهتار في القيادة، واللعب بالنار، والذي لا ينتج إلا إعاقات وأموات. إن حجة الحجج الإفصاح عن واقع الحال بلغة الأرقام، وإن كانت المحاججة لم تعنى بالتفاصيل الرقمية إلا أن القارئ سيجد

(٩٨) يمكن عد هذا الإعلان حجة من حجج العموم التي يتوافق عليها جميع الناس، عن هذه الحجة يراجع Bruton, l argumentation dans la communication ,p 61-67.

هذا البعد في توظيف صيغة جمع التكسير في صورة التنكير مما يزيد في دلالتي الكثرة، والمبالغة.

إن اختيار المقدمات الحجاجية بهذه الصورة، من جهة كونها منطلقا استدلاليا، ومبتدأ برهانيا يجعل الخطاب متسما بقوة حجاجية تقود إلى ترشيح اليقين بالحقائق الناجمة عن عمل الوقائع وترابطها كما عرضت الكاتبة[٩٩]. كما يتحدد تنظيم الكاتبة للمعلومات الأساسية المرتبطة بالموضوع الأساس "تقدير الذات" انطلاقا استحضارها لمفاهيم عامة تتصل بالواقع الاجتماعي الذي يؤطر فكرة تقدير الذات بين الأفراد، كما تستند إلى إطار معرفي آخر تمثله المعلومات المجموعة بالبحث من أصحاب الخبرة في الموضوع، ويمثلها في هذا السياق تعريف الباحثة في علم الاجتماع نانسي ويلوت.

إن فهم الكاتبة لإطار الموضوع في كليته سيسمح ببناء النص بناء ملائما ينسجم مع سياق التلفظ من جهة، ويضمن تماسك الأفكار الجزئية المعبر عنها في النص نفسه، وبالنسبة للمتلقي يمكن أن يصل إلى تحقيق الفهم، وإدراك مقصد الكاتبة إن انطلق من البنية المفهومية ذاتها فيما بنته ذاكرته الدلالية من معلومات سابقة حول الذات، وتجارب حياتية نموذجية[١٠٠].

كما يعكس التتابع الموضوعاتي للأفكار الجزئية المحمولة عن طريق تتابع الجمل والفقرات والوحدات الواصفة عن برمجة فكرية ذهنية منسقة للقضايا المخزنة في ذاكرة

---

(٩٩) انظر: علي الشبعان، **الحجاج والحقيقة**، ص٣٧٨.

(١٠٠) عن مفهوم الإطار أو القالب ينظر: فولفجانج هاينه من وديتر، **مدخل إلى علم لغة النص**، ترجمة فالح العجمي، ص ٨٧، وانظر أيضا محمد خطابي، **اتساق النص، مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص٢٠٠.

الكاتبة، والتي استجمعتها من تمعن أحوال الناس في أوضاعهم النفسية والاجتماعية المختلفة[١٠١]:

تقول في الفقرة الأخيرة "فتتابع خبراتنا الإيجابية حتى سنوات البلوغ تضيف درجات مرتفعة لمستويات تقدير الذات، وإحلال التجارب السلبية مكانها يجعل مستوى تقدير الذات يتقهقر وينخفض".

إن القارئ في تأويله لهذا الملفوظ مطالب بالعودة ضرورة إلى معرفة خلفية ينشط من خلالها تفاصيل مرحلة عمرية مر بها حتى سنوات البلوغ، بما حدث فيها من أعمال إيجابية وسلبية، قصد قياس تأثيرها في تكوين شخصيته، توجيها لإقرار ما ذكره النص، ونبه إليه من وجود صلة وثيقة بين الذكريات الماضية، ونظرة الإنسان إلى نفسه بين الإيجابية والسلبية. إن تفعيل هذا البعد هو ما يسمى في علم النفس المعرفي بتنشيط المدارات والخطط.

أما السيناريوهات فتعني المرجع الموسع الذي نعتمده لتأويل القول في ضوء معرفتنا الكلية بظروف إنتاج الخطاب[١٠٢] المحلل لموضوع تقدير الذات، إذ تكشف المعرفة الخلفية عن تدهور فاضح في العلاقة بين الذات والإنسان العربي الذي تنتمي الكاتبة إليه، فحديثها عن عواقب سوء تقدير الذات ليس مجرد حديث علمي أنتجته رياضة فكرية أو سمر قولي، أو تغريد خارج السرب.

---

(١٠١) براون ويول، **تحليل الخطاب**، ص ٢٨٨، والمقصود بالخطاطة أو المدار تتابع الوقائع المخزنة في الذهن، والتي حدثت وتكررت واقعيا، فاكتسبت سمة الرسوخ الذهني، يتم استدعاؤها غالبا في وصف السياق المرتبط بها.

(١٠٢) فولفجانج وديتر، **مدخل إلى علم لغة النص**، ص ٨٧ وانظر أيضا بول و براون، **تحليل الخطاب**، ص ٢٩٣.

بل يعبر عن عمق عناية الكاتبة بأدواء المجتمع الذي إليه تنتمي فقد أضحى سوء تقدير الناس لذواتهم مشكلة نفسية واجتماعية لها أسبابها ونواتجها غير المرغوب فيها، تدفع إلى التواكلية والانهزامية، والشعور باليأس، وتدعو المهتمين أفرادا ومؤسسات إلى ضرورة مراجعة المسألة، وإيجاد حلول لها، وإن لم يفصح النص في خطته القولية عن أي فعل كلامي طلبي.

أما الهيكل العام للنص فيقوم على عرض أطروحة أساسية تمثل مشكلة نفسية واجتماعية، ونقاش مكوناتها وتداعيتها نقاشا حجاجيا لا يفضي إلى تقديم حل نموذجي لها في الخاتمة كما جرت عادة النصوص القائمة على عرض المشكلات في تقديم حلول صريحة لها مع خاتمتها.

لقد اعتمد هذا النص تقديم التوجيهات التربوية في سياق عرض جزئيات المشكلة في السياق التلفظي نفسه، والسكوت عن عرضها صراحة في الخاتمة.

إن تصور النص وفق هيكل مشكلة وحل مصاحب يعد وسيلة مهمة لتمثيل الخلفية المعرفية لخطاب الكاتبة، والتحقق من تماسك النص، وانسجامه مع الهيكل الكلي للمقالة الصحفية [١٠٣]، الذي يمثله الهيكل، مقدمة ثم عرض الأسباب والنتائج ثم خاتمة ملائمة للمقدمة، تربطها بها علاقة التقابل في الحالة.

كما تنطلق مباشرة الانسجام الدلالي في النص المعين من محاولة الاقتراب من كيفية اشتغال العلاقات الدلالية الأساسية، فعلاقة الإضافة -مثلا- تظهر من خلال

---

(١٠٣) يوجه مفهوم الهيكل المتلقي إلى فهم أمثل للخطاب المدروس، بتوجيهه إلى المعلومات الأكثر أهمية من جهة، وتسهيل تفسير المعلومات، انظر: عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص ٢٠٠، نقلا عن Jan Renkema, discourse studies, p 164.

احتواء النص المعين "الحسد سرطان النفوس" على نصين أحدهما رئيس، وهو مساوئ الحسد النفسية والاجتماعية، وثانيهما ضمني مسكوت عنه، يكشف عن تألم الذات المتكلمة (الكاتبة) من حسد المحيط، ومواقف الأفراد السلبية منها بخاصة، ومن كل مثل اجتماعي يحاكي النجاح والتميز، وانطلاقا من علاقة الإضافة[١٠٤] يتم بناء النص في موضوعه الرئيس "الحسد" عبر تتابع الصفات والأحوال والأحداث التي تنقلها الجمل الوصفية الإخبارية ذات الصفة التقريرية، المتتابعة لبناء قول الكاتبة" فقد يكون أحد أسبابه -الحسد- قلة الإيمان، وعدم تهذيب النفس، وحملها على القناعة، والرضا بالواقع، والركض وراء المادة، وحب التسلط..."، وأيضا في قولها: "يكثر الحسد بين النظراء والأقارب والأصدقاء، وهؤلاء الناس ممن يتعايش معهم المرْ، ويدخلون بيته، أو يشاركونه عمله أو حياته، ويطلعون على أحواله".

وتقوم علاقة التتابع الشاذ بمهمة رئيسة في وسم أحداث الخطاب بسمة المصادفة والفجائية، مما يكون له كبير الأثر في استمالة القارئ، وشحذ انتباهه للمشكلة الرئيسة، فالمفاجأة في نص "الاستغفال" -مثلا- خرقت أفق التوقع بالإعلان عن حدث لا يترتب ظهوره عن سرد الوقائع السالفة، مؤطرة بشخصيات، تحركت في زمان ومكان معلومين، حددهما النص.

أما المؤشر اللغوي الدال على المفاجأة، فهو إذ الفجائية في الغالب، والتي تنسجم في إحالتها المعنوية مع دلالة استلاب الإرادة والاختيار، كما إن توظيف الفعل المبني للمجهول ليس مجرد اختيار أسلوبي يهدف إلى تنويع الصياغة النحوية للجملة، بل إن غايته إحداث انسجام دلالي واجتماعي عام بين عالم النص الداخلي، وسياقه

---

(١٠٤) انظر: عزة الشبل، **علم لغة النص**، ص٢٠٣.

الاجتماعي، مما يحيل إلى دلالات عدم الاستقرار والاضطراب واللامتوقع. إن التعبير بصيغة المجهول إنجاز لفعل تعبيري يشي بالإحساس بعدم الاستقرار، وفقدان الإرادة وحرية العمل، وجدير بالتذكير في هذا السياق أن النص السردي بعامة يسلك مسلك الإتيان باللامتوقع من الأحداث، شريطة أن تقدم الشخصيات في صورة غير مباشرة، وما يلاحظ على النصوص التي اتخذت خطة سردية بخاصة نص العشق والاستغفال أن الكاتبة لم تنوع في أسلوب تقديم الشخصية، مما يجعل القارئ ثابتا أمام خبر سكوني بسيط.

ولعل ذلك راجع إلى أن توظيف السرد ليس مقصودا لذاته، بل لاستمالة القارئ، وإيهامه بصدق الخبر، توطئة لطرح المشكلة الرئيسة موضوع الحجاج الإعلامي.

انطلقت هذه القراءة بداءة من آليات تحليل الخطاب تحليلا لسانيا تداوليا، مباشرة مدونة إعلامية محددة زمانا ومكانا، إذ تعلق الأمر بخطاب الإصلاح الاجتماعي الذي تدعو إليه **رقية سليمان الهويريني** عبر نصوص مختلفة شكلا وموضوعا، نشرت في عمود المنشود بصحيفة الجزيرة اليومية، إحدى الصحف السعودية ذائعة الصيت من حيث الانتشار والمقروئية بحسب تصريحات مسئوليها.

هذا وقد سعت القراءة من خلال استثمارها لمفهوم الانسجام النصي إلى الكشف عن أدوات التماسك، وعلاقاته العاملة في هذه النصوص لإنجاز الفعل التواصلي الأساس، والمتمثل -كما مر بنا- في فعل الإصلاح الاجتماعي، ببث الوعي بقيمة المواطنة بين الجماهير المشكلة للنسيج الاجتماعي، تجسيدا للوظيفة الاجتماعية والحضارية التي تضطلع بها الصحافة المكتوبة.

خاتمة المبحث

بعد هذه القراءة يمكن تحصيل جملة من النتائج الجزئية، نعرضها فيما يلي:

١- الخطاب الصحفي الإعلامي المعين نتاج للحراك الثقافي والاجتماعي المحلي من خلال اهتمام الكاتبة بالمستجد من قضايا الأمة، والموضوعات عميقة الصلة بثوابت المجتمع ومتغيرات الواقع.

٢- تداخل الأساليب القولية في الخطاب الصحفي المعين، إذ عمد إلى الوصف تارة، وإلى السرد تارة أخرى، مما جعل المقال الصحفي لدى الكاتبة يرتكز في كثير من نماذجه الموصوفة على البنية السردية بخاصة في نص **"العشق والاستغفال"**، فقد وظف السرد بصور متعددة لخدمة الأطروحة المركزية.

٣- أسفر اتصال الموضوعات الاجتماعية بالمقال الصحفي (عمود المنشود) عن تشكل خطاب نقد اجتماعي يتوسل التوجيه برفق، قصد نشر ثقافة المواطنة، مباعدا أسلوب القدح، والنقد اللاذع، مما يعكس رؤية الكاتبة لمفهوم التطور الاجتماعي، والبناء الحضاري الذي يستلزم قيام ثقافة للحوار الهادئ.

٤- ليست المقالة الصحفية فضاء لغويا لحدث إخباري منقول فقط، بل هي أداة تعليمية لاكتساب مهارات لغوية متعددة مثل: التحليل والتركيب والنقد والقص والحوار والوصف والتعليل والاستدلال، بل هي أيضا رافد مهم من روافد الذخيرة اللغوية يمكن أن يحصّل منها القارئ اختيارات معجمية حديثة تعبر عن اللغة العربية المعاصرة في تجددها ونموها، من خلال هذه النصوص الأصيلة، بخلاف المشككين في جدارة هذا المستوى التعبيري في ترسيخ قوالب اللغة الوظيفية.

٥- يضمر التنوع الشكلي الأسلوبي، وتعدد الموضوعات، وخطط القول كفاءة لسانية، وأخرى تبليغية تتقاطع عبرها ملكات إنجازية عديدة مثل: الوصف والتفسير

والمقارنة والنقد والحجاج، أنتجها حدث الكتابة الإعلامية من لدن "رقية سليمان" أو لنقل أنجز هذا الخطاب من خلال كفاءة إعلامية تحكمها اختيارات لسانية، وأخرى تداولية.

٦- يسهم تناص هذه النصوص مع أخرى في السياق الكتابي نفسه (سياق صحيفة الجزيرة وكتّابها) في الكشف عن سياسة الكتابة العامة في هذه الصحيفة من جهة، وتميز البنية العليا للمقال الإعلامي من جهة ثانية بالنظر إلى توافق المقدمات والقضايا المعبر عنها، وطبيعة النتائج، ناهيك عن استدعاء القصة تقنية حجاجية مائزة عند لفيف من كتاب الصحيفة المعينة.